عن ما مضى

عن أحداث واقعية

(للكاتب / علاء أحمد بدر)

اسم الكتاب: عن ما مضى

اسم الكاتب: علاء أحمد بدر

تصميم الغلاف: محمد مجدى يونس

رقم الإيداع: 26781

الترقيم الدولي: 978_977_8791_49_5

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

عن ماضي

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلي أبى و أمي العظيمين بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

إلي أخي و أختي ، إلي عائلتي الصغيرة التى دومًا أفتخر بأنى جزء منها.

إلي الأهل و الأقارب والأصدقاء ، إلي الراحلين فهم موطن الذكريات.

و هم قلب الحديث وأصحاب الفضل عليَّ في معظم الأوقات.

أهدي هذا الكتاب إلي كل من ساعدنى بإخلاص وضمير و بحُب و له منى كل التقدير.

إلي كل من كان له الفضل من بعد الله سبحانه و تعالي بأني أعود إلي الحياة مرة أخري.

أهدي هذا الكتاب لكل من كان له الفضل و سبب لتظهر كلماتي إلي النور .

***

تركت القلم و أغلقت الصفحات أسقطت النظارة من على وجهي تركتها على طاولة مكتبى الصغير، ثم أخذت نفساً عميقاً و أنا أنظر إلي جدران غرفتي فاستلقيت بظهري على المقعد الذي كان يمزقني من وضعية الكتابة وأحدث نفسي التي بداخلي حسناً لقد انتهيت بعد سنوات عدة من كتابة هذا المحتوي المعروض أمامكم الآن.

بدون مقدمات أو تمهيد وبدون تفاصيل؛ فالتفاصيل مشابهة إلي حدٍ كبير من الواقع .

أنا من أكتب...

وأنا من أتحدث...

فإنني لَسْتُ فيلسوفًا ، أو كاتبًا كبيرًا لديه شعبية جارفة من القرّاء ، بل أنا إنسان يعيش ويتعلم يدرك ويتألم ، يعرف و يفهم بأن كل ماحدث لماذا حدث ؟ و ما السبب فى حدوثه؟

خبراتي في الحياة لم تكن خبرات كبيرة ولكنها علمتني وعرفتني جزء من الحقيقة بعد تعرضي للكثير من الصدمات والعقبات والتى بدورها أيقظتني و تفتّحت عينايَ على أشياء كثيرة فبدت وكأنها كـصافرات الاستهجان اعتراضاً على تخاريف العقل وهوسه...

إن الحياة دوماً وأبداً لم تكن سهلة لينة على الإطلاق ، فهناك بعض العواقب والصدمات و الصعوبات يجب على المرء أن يتخطاها بعقل و بحكمة و تقبل الوضع و التعامل معها من أجلك و لأجلك ، والتي لولا تلك الصدمات التي تعرضت لها لم أكن هذا الشخص الذي يحدثكم الآن.

" الحقيقة الأولي "

تستغرق وقتًا كافيًا لمعرفة من أين تبدأ الحقيقة ؟

فمنذ ولادتنا ونحن لم نختر أنفسنا ، لم نختر أشكالنا ، هيئاتنا ، أسماءنا ، فلم نختر الأب أو الأم ولم نختر بلدنا ولم نختر شيئاً .

مسيرون من البداية نجد أنفسنا فجأة في واقع من البداية يبدو غريبًا هذا اسمي ، و هذه أمي وهذا أبي و إلخ ...

يمكن أن نقول أن هذه هي مرحلة البحث وأنت طفل تبحث عن عالمك الخاص بك لتتعرف عليه تجد نفسك بداخله مرة و احدة.

وبدون سبب لماذا أنا هنا لتبدأ معك مرحلة التساؤلات لماذا اسمي هذا ؟ لماذا شكلي ذلك ؟

سوف يساعدك أهلك علي تجاوز تلك المرحلة والتعرف علي نفسك وعلي من حولك وبالطبع فهؤلاء عليهم الدور الأكبر في تعريفك على العالم وتربيتك بأصول وقواعد المجتمع الذي هم أيضاً تربوا عليها بنفس القواعد و الأصول و تعليمك في أفضل المدارس ومساعدتك لوصولك لأول الطريق من أجل مستقبل أفضل ناجح .

الخلاصة يا صديقي : الأب و الأم يفعلان كل شيءٍ من أجلك هم الوحيدان في هذا العالم اللذان يتمنيان أن تكون شخصًا ناجحًا وأكثر قيمة من نسختهما .

لتبدأ معك مرحلة الطفولة المبكرة فاليوم ازْدادَ عُمْري وتركت المنزل ولم أعد طفلاً رضيعاً ذهبت إلي المدرسة ، لتبدأ مشوار الدراسة و الحياة لتختلط بالمجتمع و بالعالم .

الصعوبات التي يتعرض لها الطفل فى هذه المرحلة هي صعوبة التأقلم .

كنت أتذكر و أنا في هذه المرحلة و أنا ذاهب إلي المدرسة و أنا أبكى كثيراً و في الحقيقة لا أعرف لماذا كنت أبكي حتي الآن؟

تتعرف في هذه المرحلة علي أصدقاء جُدد تلهون سوياً سوف تكتشف عالمك معهم لتتكون نفسيتك وتجد نفسك تحب أشياء و تكره أشياء تتكون شخصيتك ، تتعلم مهارات جديدة مثل الكتابة و الرسم و أنشطة مختلفة .

ولكن أنا أحببت الرسم وكرة القدم ، اكتشفت أن هذه اللعبة كانت المقربة لي ، تكتشف نفسك لتجد نفسك أمام عالمك المحبب لك المدرسة و الاصدقاء و الهوايات و النادي و الأقارب.

ثم تأتى مرحلة الطفولة المتقدمة ، وفيها يزداد تطور قدراتك الفكرية والعقلية ويبدأ الطفل بالاهتمام بالتعلم واستكشاف العالم ويندمج اجتماعياً مع الحاجة إلي الوالدين دائماً مع مواجهة صعوبات دراسية و متطلبات الدراسة.

ثم تأتى مرحلة المراهقة لتؤثر عليك بشكل كبير فأنت الآن لم تعد طفلاً تبدأ مرحلة المراهقة،

و لكن .....

تتغير لماذا ؟ عن لماذا ؟ و تختلف التساؤلات بداخلك من السؤال لمجرد العلم والمعرفة إلى السؤال لمجرد الاعتراض على لماذا ؟

لماذا ؟ سميت بهذا الاسم ؟ و أنا لا أحبه و أجد سخرية من ذلك ؟

لماذا شكلي هكذا ؟

لماذا أنا قصير ؟

لماذا أنا سمين ؟

لماذا أنا لَسْتُ وسيمًا كما قالوا لي فى المدرسة؟

لماذا لا توجد فتاة تحبني مثل أصدقائي؟

لماذا أسكن فى هذه المنطقة الشعبية العتيقة و أصدقائي يسكنون في المناطق الراقية ؟

لماذا لّيْسَ لديَّ أصدقاء مثل البعض ؟

لماذا أنا وحيد و لّيْسَ لديَّ أخوات مثل أصدقائي؟

لماذا لا نمتلك سيارة؟

لماذا لا نمتلك المال الوفير؟

لماذا أعيش مع أمي فقط و لا أعيش مع أبي ؟ و إلخ .....

تختلف التساؤلات بداخلنا عن بعضنا لبعض و ذلك علي حسب قوة امتلاكنا للأشياء ونقصانها.

***

" الحقيقة الثانية "

أنت لَسْتَ ناقصًا بل أنت مختلف

نجد أن التربية و النشأة و الاستقرار الأسري و الترابط أو التفكك الأسري أو الخلل التربوي

كل هذه العوامل تؤثر على المراهق و تجعله ينظر إلى المجتمع من اتجاهه هو فقط .

و مع دخول الثقافة المستحدثة من العالم الافتراضي الآخر أصبح هناك صعوبة وإشكالية وفجوة زمنية عالقة بين اختلاف الأجيال و تغير الثقافة و السلوك العصري .

تتغير نظرتك للمجتمع تمتلك احساس الرفض التام ، لم يعجبك كل الأشياء حولك يختلف الصراع النفسي بداخلك ليؤثر عليك تمتلك دوافع الانسحاب من الأسرة و الانسجام مع عالمك الخاص و الاستقلال الذاتي ، تجد نفسك في صراع آخر مع المجتمع و النقد و السخرية التي أراها احتراقًا للنفس البشرية ، يبدأ الصراع بداخلك يزداد انحرافًا فعليك تقبل الأفكار و عدم الانغماس مع الأشخاص السوء والمجتمع المجهول الأسود القادر على إفساد ما بداخلك لتصبح بعد أن كنت طفلاً يعيش في بيئة بيتية يتربي على الأخلاق الحميدة والسلوكيات الطيبة التى يزرعها الآباء و الأمهات بداخلنا والسلوكيات الإيجابية والتأثير الإيجابى على المجتمع التى تغرسها المدرسة و الاخصائيون الاجتماعيون إلي صراع آخر بداخلك هناك رفض للواقع الغير ملائم لحد كبير أحلام اليقظة و وهم الخيال فتجد نفسك منفعلاً على العائلة و كأنك تحاسبهم على كل شيء .

***

وهناك تحديات في البداية بينك و بين نفسك بين الأحلام والطموحات وسياسة الاعتراض وبين الدراسة والنجاح والمذاكرة والتطلعات المستقبلية ، ففي هذه المرحلة كان جيلنا أيضاً يعانى باختلاف صورة التطور الكبير لم يكن مثل الآن ، و لكن كانت بداية تشوش فكري ومجتمعي ونجد أن مشكلة هذا الجيل هي المُعاناة وخصوصاً بعد ظهور الثقافة المستحدثة المستوحاة من العالم الافتراضي وعدم توافقها مع صورة الواقع غير المعبر عن التطلعات و

أحلام اليقظة إن هذه الفجوة العصرية خلقت ترددًا نفسيًا وسلبيًا لجيل بالكامل يريد أن يحصل على كل شيء بالكامل بدون تفكير وكيفية الحصول عليه دون تعب وعناء .

***

" و من هنا تبدأ الحكاية "

كنت أتذكر نفسي و أنا فى مرحلة الثانوية العامة التى كانت أصعب المراحل العمرية بالنسبة لي كنت تائهًا لدرجة كبيرة جداً وكان هناك أشياء تشوش عليَّ ومؤثرات شهوانية وعاطفية كنت أكافح نفسي من آجل الخروج من تلك المؤثرات والتركيز كل التركيز على المذاكرة فقط وكنت أفعل ذلك و لكن في حقيقة الأمر لّيْسَ في كل الأوقاَت ، مع أني كنت خجولاً انطوائى إجتماعياً و لكني كنت محبوبًا جداً من أهلى وأقاربي ومن أصدقاء الدراسة فأصدقاء المدرسة هؤلاء هم الأصدقاء الحقيقيون ، فكانت مدرستي الحكومية التى أحبها جداً فكانت تَشَبَّهَ العصور الملكية والقصور القديمة الفخمة التى تجعلك أن تشعر بعراقة التاريخ ، و أنت في طابور المدرسة صباحاً كنت أستذكر دروسي فقط من أجل النجاح لم يكن لَدَيَّ هدف حقيقي أسعي من أجله ولم أكن أحب شيئاً باستثناء كرة القدم و كنت أحرص على لعبها فقط من أجل اللعب ولَيْسَ من أجل تحقيق حلم بأن أصبح لاعباً محترفاً و على سبيل الذكر كنت أنتمي الي القلعة البيضاء نادي الزمالك ومدرسة الفن والهندسة كما يلقبونه ، لم أدرك فى هذه المرحلة ما أريده فقط كنت أذاكر فقط من أجل النجاح فى الثانوية العامة والدخول إلى الجامعة و البدء بعيش أحلام الشاب التى فى خيالي و بالفعل انتهت الثانوية العامة ونجحت بمجموع ضعيف جعلنى انتظر نتيجة التنسيق هذا الأمر أرهقني تماما فأنا لا أعرف أين يتجه مستقبلى ومساره .

أتمنى لو يرجع الزمن إلي الوراء قليلاً كنت أذاكر ليلاً ونهارًا حتى أحدد هدفي أولاً و أترك كل شيء من أجله و أسعي دائماً إلي تحقيقه .

***

بدون هدف واضح من البداية و خطة محددة

و محكمة دون الحاجة للنظر إلى نتائج .

بعد نجاحي في الثانوية العامة دخلت الجامعة التى فرضت عليَّ مثل كل شيء كان مفروضًا عليَّ و ذلك نظراً لمجموعي والتنسيق بدأت دراستي فى الجامعة ومعها بدأت فترة الانبهار بالمظاهر و الانجذاب إلي المُغريات و لكني كنت أتمني أن أحسن وضعي المالي فالكل في جامعتي يمتلك سيارة و مالًا و أنا لا أمتلك شيئاً و نظراً لأن جامعتي كانت جامعة خاصة فكانت المستويات المادية بالنسبة لي فارقة لم أستطع أن أجاريهم ولا أستطيع أن أجد فتاة أحبها لأنني ببساطة لَيْسَ مثلهم فأنا طالب جامعي لا يمتلك المال الوفير فقط جاء من أجل أن ينجح و يتخرج تقبلت هذا الوضع ولذلك لم أحب سنوات الدراسة في الجامعة لا يوجد شيء يُشبهني ولكن كان هناك أصدقاء هم من هونوا علي سنوات الجامعة التى كانت فترة لَيست جيدة و لَيست جميلة مقارنة بفترة المدرسة ولكن الأمر الذى كان يسعدني دائماً ، هم أصدقاء الجامعة وأصدقاء المدرسة الذين مازالوا أصدقائي حتي الآن .

انتهي الانبهار وتخرجت من الجامعة بتقدير مقبول و بدأت في رحلة البحث عن العمل وعن الذات ولكن مع الأسف لم أجد وظيفة في أول مشواري انتظرت وقتاً طويلاً و أنا أبحث عن عمل أو وظيفة ذهبت إلي مقابلات عمل كثيرة حينها أدركت بأن هذا العالم لا يريد موظف يعمل ، وكأنه يريد عالمًا أو دكتوًرا أو بروفيسور يتحدث جميع لغات العالم ، فلم أيأس و من حسن حظي كلمني أحد أقاربي و أبلغني بأن هناك وظيفة تنتظرك وظيفة في مجال العقارات كمندوب مبيعات و بالفعل وأخيراً التحقت بالعمل الذي أيضاً كان مفروضاً عليَّ وعليَّ تقبله تماماً لأنني ببساطة شديدة لم أجد غيره ونظراً لأنني فى أمس الحاجه إلي العمل وبشدة أخذت هذا الموضوع على محمل الجد و ارتضيت بالوظيفة .

" لتغيير الوضع المفروض عليك يجب أن تُحارب "

بدأت العمل في الشركة في مجال العقارات الأمر كان لطيفًا في البداية وكنت حريصًا دومًا علي تعلم مهارات البيع بشكل جيد ، فدائمًا أتحدث مع قيادات الشركة الذين كانت لديهم الخبرة في هذا المجال لسنوات عديدة وكنت أمتلك حماس كبير ..

و لكن .....

بيئة العمل مختلفة تماماً عن الدراسة فأنت تختلط بالعملاء و زملاء العمل الذين لديهم نفس الطموحات .

ومن هنا بدأ الصراع بينك وبينهم فالجميع يحاول أن يثبت نفسه حتى لو علي حساب الآخر وكنت مضطرًا يومياً بأن تتحدث معهم وتناقشهم و لكن هل الجميع يحبك ويتقبلك؟

لا أعتقد ذلك.

ولم يكن أمامي سوى أن أركز فقط علي عملي وأتحدث يومياً مع العملاء هاتفياً وأذهب إلي مقابلاتهم لإتمام عملية البيع و تنفيذ الخطة المطلوبة ، ففي الحقيقة أنا لّسْتُ سعيدًا ببيئة العمل ، فلن يُشبهني زملائي في العمل و أنا لا أُشّبه أحدًا .

و مر الوقت كومضة البرق إذ مر عام و أنا أحاول و أجتهد من أجل أن أتعلم و أتقن عملي بشكل جيد و بالفعل مع أول وثاني بيعة وجدت تشجيعًا و تحفيزًا من قيادات الشركة الذين دائماً يشكرونني علي جهدي و علي ما أقدمه للشركة أما عن زملائي في العمل فالأمر يختلف

و يسير فى اتجاه مضاد كأنما يسير خلاف عقارب الساعة فلم يكن جيدًا علي الإطلاق ،

و لكن هناك شيء قد توقفت عنده كثيراً و هو التعامل بروح و نقاء و صفاء فقد تجد نفسك ضحية أسلوبك العفوي ضحية ابتسامتك الأصلية الغير مزيفة يفترض أن تعيش في واقع يجب عليك أن تتصنع فيه للظهور بشكل جيد يجعل الكثير في ذهول و هم يقدرون ذلك

وهذا الشيء لم يعجبني كثيراً فأنا لا أريد التصنع ولا أريد السخرية أو مضايقة أحد ، والنظرات المعنية التي لها أكثر من معني والكلام المعسول المقصود من أجل توصيل معني ما .

اكتشفت أن الأمور كلها أصبحت أمامى خادعة ، الابتسامة تبدو جميلة ولكن ما وراءها

لم يكن جميلاً ، النفوس قد تغيرت ولم تعد صافية ، و أنا لم أعد كما كنت فقد فهمت الأمور سريعاً و أدركت بأن النوايا قد تكون خفية غير ظاهرة ولكن مع الوقت سيصبح الجميع أمامك كتابًا مفتوحًا يمكنك الاطلاع عليه في أي وقت أو تركه متربأ لم يعد له قيمة أو الاعتناء والاحتفاظ به و ذلك من أجل قيمته الجوهرية ، فلم يعد التأقلم شيئًا صعبًا فعندما تتأقلم تتفاجأ بأن هذا الشيء لم يعد يناسبك ، نعم إن كان آجلاً أو عاجلاً ستترك كل شيء من أجل أن تستريح من أجل لحظة الاسترخاء و العودة ، فلم يعد التأقلم شيء صعب المراس بل روح الاستمرار ومحاربة الظروف و الواقع هم الأصعب ، تجد نفسك محارباً للظروف والواقع والإرادة النفسية مجاهداً بحماس الاستمرار وعدم الاستسلام و عندما تنجح في ذلك و تنتصر تجد أنه قد حان وقت الاستراحة والاسترخاء ، ففي بعض الأحيان الخروج من التجربة في منتصف الطريق لم يعد هزيمة و يأس علي الإطلاق ولكن أحياناُ يكون الارتياح النفسي العامل المسبب في الخروج من التجربة فى الوقت المناسب الذي لا بد و حتماً يستمر كثيراً ، إن التعامل النفسي أحياناً قد يشكل عبئاً عليك فأنت لا تستطيع أن تتعامل بصورة أخري غير صورتك الجوهرية ، لذا لا داعي أن نتلون و أن نتجمل ، نعم لسنا علي ما يرام ولكننا طبيعيون وهذا يكفي ، فكن حقيقيًا حتى لو أصبحت وحيداً .

***

" ثم بعد ذلك ... "

جاءت الثورة وسقط النظام ، وتغيرت معايير و أسس جيل بالكامل في المستقبل و طريقة التفكير كان صوت الشعب هو الموجة الأولي هو الطوفان الذي يعقبه بركان الغضب كانت معظم الميادين مزدحمة بالمتظاهرين والجميع بصوت واحد : "الشعب يريد إسقاط النظام" كانوا يطلقون العبارات مثل "عيش - حرية - عدالة - اجتماعية" كان الأمر غريبًا عليَّ و على الكثير و على جيل بالكامل لم يحدث ذلك من قبل فجأة و بدون سابق إنذار ينزل الشعب إلى الشوارع و الميادين مقيمين لا يملون مؤمنين بأنه قد حان وقت التعبير و التغيير و هم لا يذهبون إلا بعد رحيل النظام متمسكين بفكرة التغيير لرفع الظلم والمطالبة بالحرية والعدالة الاجتماعية ومن ناحية أخري كان هناك مؤيدون للنظام يتحدثون عن الطرف الآخر على أنها مؤامرة تخريبية للبلاد ، تناولت هذه الأخبار من وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي ، و ماذا عني ؟ أنا كنت أشاهد فقط الأحداث ولم أشارك لأنني ببساطة لا أعرف شيئًا و لا أعرف ما الضرر الذي يعود علي البلاد .

ثم .....

ثم جاء الطوفان بركان الغضب و اشتعلت النيران يوم 28 يناير 2011 سمي بيوم جمعة الغضب شهدت أعنف المظاهرات وحدوث احتكاك من قوات الشرطة مع المتظاهرين والتعامل معهم بالأسلحة النارية والقنابل المسيلة للدموع ، و تم اقتحام السجون وهروب عدد كبير من النزلاء والهجوم علي أقسام الشرطة وحرقها مما تسبب في حالة إنفلات أمني بعد هروب عناصر الشرطة وسقوط العديد من القتلى والضحايا والشهداء ، وقام العديد من المواطنين بإنشاء لجان شعبية حفاظاً علي الأمن و لسد الفراغ الأمني.

و توالت الأحداث و اشتعلت الاشتباكات بين المؤيدين و المعارضين و قوات الأمن و هاجم الآلاف من أنصار النظام المعتصمين في ميدان التحرير بالجمال و الخيول و التى عُرفت إعلامياً بإسم " موقعة الجمل " ، و أستمرت الاشتباكات بين الطرفين دون تدخل من الشرطة أو الجيش حتي صباح اليوم التالي و قتل و أصيب عدد من المحتجين و قد انضم مئات الآلاف إلي المعتصمين في ميدان التحرير للضغط مرة أخرى لانهاء هذا الحكم المستبد الممتد

منذ 30 عامًا فيما أسموه بمليونية "جمعة الرحيل".

و بدأت الثورة تكشر عن أنيابها و إنضم إلى الثورة النخبة من المثقفين و الشباب و المفكرين و المعارضين بدأت الثورة تأخذ مجراها .

و ماذا عني ؟ أتابع و أشاهد الأحداث من المنزل لا يوجد عمل توقف العمل في المؤسسات العامة والخاصة والهيئات الحكومية أصبحنا محتجزين في المنزل ، وفجأة و أنا أشاهد الأحداث عبر وسائل الإعلام و أشاهد صور الشهداء و الضحايا حتى فوجئت بصديقي و زميلي في الجامعة وقد استشهد و ذلك يوم 28 يناير يوم " جمعة الغضب" أصيب بطلقات نارية أثناء تواجده في محيط قسم الشرطة أثناء تواجده في مسيرة كانت مارة بجوار القسم ، تأكدت من الخبر و أنا أشعر بذهول تام لم أتوقع بأن هذه الأحداث تسير علي هذا النحو ولم أتوقع بأن جيلنا هو من يدفع الضريبة.

فقد كنت أحب صديقي لكونه شخصًا طيبًا ولطيفًا محبوبًا من الجميع ، وكنت لم اقابله منذ أن تخرجت من الجامعة لكن أتذكره جيداً ، أشعر به ، أرى ابتسامته أمامي حزنت عليه ومن هذه اللحظة أدركت بأنه قد حان الآن وقت الرحيل ، وقت اسقاط النظام .

توالت الأحداث و بالفعل سقط النظام يوم 11 فبراير 2011 و تولى المجلس الأعلي للقوات المسلحة إدارة شئون البلاد .

وانطلقت الاحتفالات وتغيرت الشوارع وتلونت بالرسومات على الجدران والميادين حتى تنفس الشعب نسيم الحرية .

انتهت الثورة وتحسنت الأمور رويداً رويداً و بدأ العمل في الهيئات والمؤسسات والشركات وبدأت الأمور تعود إلى طبيعتها ولكن كان بنا شرخ يصعب ترميمه فقد عشنا أيامًا صعبة وقاسية ولكن بفضل الله و القيادة الرشيدة تخطينا هذه المرحلة بسلام .

عدت إلى العمل مرة أخرى عملي الذي لم أحبه يوماً و لكن بطبيعة الحال و ظروف البلد بعد الثورة لم تعد الحياة كما كانت من قبل تضاءلت فرص العمل كنت مضطراً للعمل لحين تواجد فرصة أخري .

***

و مرت الأيام والسنوات و الحال كما هو ، أصبحت حياتي تشبه السطور الخالية أذهب إلى العمل صباحاً وبعد الانتهاء من العمل أذهب إلى الأصدقاء ليلاً لنلتقي علي القهوة لآخر اليوم ثم اذهب إلي المنزل للنوم و الذهاب إلى العمل صباحاً كل يوم علي هذا الحال فلا شيء تقدم أو تأخر ، العمل الأصدقاء لم يكن لدي شيء آخر أفعله ، الضغوطات و المسئوليات التي أتعرض لها في العمل خلقت شخصًا مرهقًا كل يوم أفكر كيف أنفذ الخطة المطلوبة مني في ظل هذه الأجواء و ظروف البلد الاقتصادية التي تأثرت بعد الثورة بشكل كبير .

ولكن الجلوس مع الأصدقاء " أصدقاء الطفولة " في وقت الليل و الاستماع إلي الذكريات والمواقف المضحكة كان أمرًا رائعًا و ممتعاً جداً هذه اللحظات التي أنسي فيها الضغوطات والتعب والتفكير المستمر في المستقبل المضطرب والتفكير في الزواج وشريكة الحياة والحب و الارتباط.

الجلوس مع الأصدقاء بعد الانتهاء من العمل كل يوم هو أفضل ما في اليوم ، أما بالنسبه للأهل هذا كان أهم جزء في حياتي أبي و أمي ورحلة كفاح أصبحوا كبار في السن ومساعدتهم شيء ضرورى، أنا الابن الثاني لهم الأوسط هادئ اجتماعياً محبوب ولكني كنت لا أحب الاختلاط كثيراً ولكني لَسْتُ انطوائيًا دائماً ، أحب الهدوء والراحة النفسية .

استمرت الأحداث السياسية بعد ثورة 25 يناير و امتدت أعوام بين الفوضي والاستقرار والاعتصامات والاشتباكات و صراع القوي السياسية وقرارات وتشكيل الحكومة ثم انتخابات رئاسية ثم جاءت ثورة 30 يونيو عام 2013 ليسقط نظام حكم الإخوان المسلمين ويتم تسليم السلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا ، ثم انتخابات رئاسية جديدة و لكن هذه المرة ظهر الرشد والعقل لتحقيق الإصلاح و السيطرة على الوضع السياسي .

" الحقيقة كأس مُر "

من هنا...

أتحدث من هذا المكان الذي كنا نتقابل فيه أتذكرين؟ قد أعجبنا كثيراً إنه حقاً مكانًا رائعًا كما أخبرتني في هذه الليلة الأخيرة و من بعدها صرتُ وحيداً أعزفُ الألحان مُنفرداً بجفا النسيان ، غابت عيناكِ فأصبح الحاضر بدونك بلا قيمة ، ولا قيمة للحياة بدونك .

حياتي أصبحت روتينية غير قابلة للتغيير ، زاداني الوقت مللاً و جاءني الفراغ القاتل ووساوس الشيطاَن ، أصبحت بلا غاية أو هدف فكل الأمور أمامي ، تأتي عكس أمنياتي ، أُرهقت من التفكير القاتل ، لا أستطيع أن أغير شيئاً ، ولا أجد من يساعدني ، كل يوم أفكر وأنا في عملي هل الحياة سوف تستمر في ذلك ، أم سيحدث تغيير ؟ و إذا لم يحدث كيف أعيش وأنا لا أريد حياتي كما هي الآن ، و كان كل مخاوفي أن يمر قطار العمر ولا أستطيع أن أفعل شيئاً نعم أمتلك أهدافًا وطموحات ولكن الواقع قد أغلق كل النوافذ أمامي ، وعندما أتجول في الشوارع أركب المواصلات العامة ، أري الهموم تأكل الوجوه ، والكل سارح فى همومه ، الكل يعاني باختلاف القصص و المعاني .

ومن نور الصباح نجدد الأمنيات ،

كنت أحتسي فنجاناً من القهوة المشروب المفضل لديَّ ،

القهوة استراتيجية عميقة لا يعرفها غير العشاق .

أجلس علي القهوة ، في لحظة سكوت تام

و فجأه .... رأيت !!

رأيتها نظرتْ لي ....

و نَظَرَتُ لها .....

أخذت نظراتنا مسارها رأيتها من بعيد تحرك قلبي نحوها لمست شيئاً ما بداخلي ليست هي الأولي ولكنها الفريدة من نوعها ابتسامتها هادئة كموج البحر عيناها لامعتان كالبريق تحدثت لها بدون تردد رأيت نفسي أمامي ، تحرك الشعور الساكن بداخلي الذي لم تحركه أي إمرأه من قبل تحدثنا فتره طويلة كان الإعجاب سيد الموقف بيننا و الانجذاب كان لهفة العشاق ، أحببتها نعم أحببتها بصدق النوايا بنبض القلب كانت جميلة و حقيقية غير مزيفة كالباقين ، كانت جارتنا تسكن فى نفس الحي القديم الذي أعيش فيه ، منذ أن رأيتها و أنا لا أرى أحدًا غيرها ، فى الفراغ تأتي أمامي و في الازدحام ملازمة لخيالى ، كنت أراقبها من نافذة قلبي من بعيد لبعيد أري تحركاتها الساكنة ونظرتها الساطعة و أناقتها البسيطة الساحرة ، إنها جميلة بكل المقاييس أرى في عينيها إعجاب و تتحدث معي بإرتجاف وأنا أتحدث معها بيقين بداخلي بأنها هي التي أبحث عنها ، كنت جادًا جداً ، تحدثت مع عائلتها أريد أن أعيش معها أريدها زوجتي فهي من أبحث عنها طوال هذه السنوات جاءت طبقاً للمواصفات ، بدأنا قصة حب طويلة طالت لسنوات كنا نحلم بيوم الزواج ونحلم بمنزل يجمعنا وعائلة صغيرة ملكنا ، أعمل ليلاً و نهارًا وأحاول جاهداً أن أصنع المستحيل من أجلها فأنا الآن لدي رغبة فى الزواج منها ، فقد وجدت شريكة حياتي و لابد أن أحسن من وضعي المادي وأدخر كل مال لبدء مشروع الزواج ولكن ...!!

جاء الحب محمل بالأتربة يصاحبه عاصفة من الأسئلة و التردد وجاء العتاب المسمم بالكلمات و جاء النقاش المفرط والجدل المثير للغضب ، تغير الحب بيننا تغير شيئاً ما بداخلنا كنا لا نعتقد بأنه يتغير أبداً ورغم كل ذلك كنا نسير فى الحب من أجله من أجل ألأيام والذكريات واللحظات التي لا تنسى أبداً و لكن جاءت الظروف فحضر الخوف وذهب الأمان وتغيرت المفاهيم حتى باتَ هناك اختلافات كثيرة وعدم تفاهم ، أصبحنا نعاني معاً

تغير الشعور من حب إلى وهم إلى ملل الحديث وافتعال الضجيج والصيحات ، وأصبحت لا استطيع التحمل والصمود فى مواجهة الظروف القاسية ، التى لا تنتهي ولا تتحسن .

صبرت وقتًا طويلًا لأجلها ، لا أحب أن أرحل و أتركها فهى لا تعوض فى هذا الزمان ، ولكن ماذا عني ؟ يجب أن تتحمل و عليك أن تكمل الطريق الذي كنت تحلم به من البداية عليك أن تختار بين ميزان العقل وميزان القلب عليك أن تتقبل الوضع أو تذهب من باب الرحيل .

كان الأمر صعبًا فالظروف المادية لم تكن سهلة علي الإطلاق فأنت محتاج للمال الوفير من أجل الزواج ، تعمل ليلاً و نهارًا من أجلها ، كنت أفعل كل شيء من أجل أن أرى ابتسامتها علي وجهها ، فعلت كل شيء ، ولكن كان هناك حلقة مفقودة ، همزة وصل ، لغة تفاهم ، هناك شيئاً ما بيني و بينها غير موجود و غير متاح ، كنت أريد أن أساعدها على تخطي العقبات وهي أيضاً لم تقصر فى حقي شيئاً ، فقد كانت بجوارى و خلفي فى المصاعب التى تعرضت لها ، كانت حقاً رائعة ، ولكني لا أستطيع إرضائها في كل الأوقات ، كنا نأمل أن نتخطي تلك الظروف سوياً و بالفعل تخطينا جزء منها ، كنا متلازمين في الحياة ، كنا ناجحين واقفين علي أرض ثابتة في مرسى الحب ، ولكن ماذا حدث لا أجد سبباً حقيقيًا ، وراء ذلك ، هل أتت الظروف القاسية لتسلب مننا حباً حقيقياً ؟ هل أنا استسلمت ؟ لا أستطيع القول بأنني استسلمت فقد فعلت كل شيء من أجلها ، و قد استنزفت طاقتي و تهالك شعورى أصبحت أسير لتلك الظروف التي أفقدتنا جزء كبيرًا من الحب ، أصبحت في منتصف الطريق لا أريد البقاء ولا أريد الذهاب بعيداً إلى المجهول ، أصبحت أعاني ، فقدت روح الاستمرارية ، فقدت روح الشغف ، بدأ الظلام يسود قلبى و الحزن يسيطر على طلّتي ، و الجميع في استغراب و دهشة ، ماذا بك ؟ تغيرت نظرتي ، و كذلك نبرتي ، أدركت بأن هذه المرة غير كل المرات ، كان الود ودي ولكن لّيْسَ بيدي ليتني كنت خارقًا ليتني كنت أعرف الغيب فأنا فعلت كل شيء من أجل اللاشيء ،

أعطيني لحناً وسوف أكتب لك أعظم قصيدة ولا تشقيني في الصعاب بخطي الأقدام لا تكن أنت و الدنيا كالجدار بالمرصاد أود رفيقًا يلين اللين يكون الوطن و الديار و الصديق .

"الفُراق المحطة الأخيرة لخيبة الأمل"

تحدثنا عن غدٍ ... تحدثنا عن الأحلام ..

تحدثنا بكل الأشكال و الألوان ..

و لكننا لم نتحدث عن الفراق ... ثم أصبح .. ثم كان .

رَحَلَت ، و رَحَلَ معها كل شيء ، أصبحتُ أعاني الوحدة ، فقدت الحياة ، فقدت كل شيء ، ولم أستطيع أن أعيش في تلك الأجواء الصعبة و الظروق القاسية ، لم يكن في الإمكان أفضل مما كان ، أصبحت وحيداً بعد سنوات طويلة تنفست هواء الحب جاء الحب بأقراص من العناء جاء الأمل نقطة في بحر الأوهام ، أفتقدت جزء من حريتي ، وطاقتي ، عدت إلى نفسي إلى غرفتي ، إلي وحدتي ، أصبح التخلي بالنسبة لي راحة ما بعدها راحة .

دواء وعلاج مثل الجراحة ، ولكني في الحقيقة لَسْتُ سعيدًا نعم هناك شيئ قد أثقلني هماً ، ولكني لَسْتُ راضياً ولماذا ؟ لماذا كل هذا ؟!

الوحدة عالم أخر عالم خالي من الأسئلة ، الوحدة مثل السجن من اعتاد علي غرفة يذهب ثم يعود أما العزلة غربة ووطن ، و ماذا عن الحزن .

الحزن بداية التعارف علي نفسك في عالم خالٍ من أحد تمتلك مقاليد الحكم ونسبة المشاهدة ، تختفي وتظهر بين الحين والأخر وراء الاختفاء والظهور شخصيات متقلبة ،

لا يعرفها سوى النبرات والنظرات ورجفة اليد ، لا يعرفها إلا من تذوق أصعب الأيام وأثقالها حسرة .

أما الندم... فهو ضمير لا يعرف الراحة ، الندم بداية للتعاسة والظلم لنفسك البشرية ، أنت تحاسب نفسك علي كل شيء ، و كأنك أنت المسئول الأول والأخير في نظر البعض تبدو شخصًا قاسيًا بمجرد أنك اخترت السلام لنفسك ، اخترت الراية البيضاء ، ولماذا؟ أعيش في اعتذار و أنا المعذور ، أنا ضحية الظروف ، عتمة الليل كانت سببًا للإدرك أن النهار له سبب ، أما عن عتمة الظروف فأنا كنت أعيش ،

إلي متي ؟ أتألم و أدرك أن غداً أفضل و يأتي الغد و اكتشف أن الأمس لن يعوض، هل الحياة أصبحت صعبة أم أني أصبحت ضعيفًا لا أتحمل الآلام ، عذراً يا نفسي لقد تجاوزت في حقك كثيراً لم أكن أعرف هذا الشعور من قبل أدركت متأخراً أن سلامتي النفسية سبيل للراحة والرضا والسعادة و البعد عن استنزافات مرهقة في دائرة الأوهام ترهق العقل وتمزق القلب ،

علامة إستفهام !! عن هذا التعلق الذي بداخلي الذي لا يراني ولا يستطيع أن يشعر بي عن هذا الجماد أتحدث ، سوف أمحو تلك السطور التى توقفت عندها كثيرًا ، لكي أستطيع السير مرة أخري و لكن دون هذه السطور ما كنت أنا ، لأني أدركت إحساسًا ما بداخلي ، لا شيء في هذه الحياة مضمون ، لا شيء باقٍ ، الكل ذاهب لا محالة ، لكل طريق بداية ... و ... نهاية ،

لكل ظلامٍ نهار ، مهما كان الأمر قاسيًا ، فسوف يمر ، مهما كان الأمر صعبًا ... سوف يستقر.

أنت لا تستطيع الهروب أو الاستسلام من أجل نفسك فقط عليك أن تحارب لتعد كما كنت لتعد قويًا يجب عليك أن تجاهد نفسك في سبيل نفسك في سبيل السعي وتحقيق الهدف المطلوب ، فبعض الخطوات تحتاج إلي خطوة أولى ، دائمًا البداية تكون من عندك أنت ، وتذكر بأن الفرص الضائعة جاءت من أجل التنبيه إلي أن الفرص الحقيقية جاءت من أجلك ولأجلك أنت .

إنهض فالحياة لم تنتهِ بعد برغم المُعاناة التي رأيتها ولكن دائماً المُعاناة تصنع الخوارق ، أحيانًا استمرارية بناء الأشياء المعقدة يذيدها تعقيداً فالأفضل فى هذه الأمور هو تركها .

***

" وكأنها لم تأتِ و كأنها لم تكن "

" حياة لم تكن في الحسبان "

كنت أتمني ... أن أعيش الحياة التي تمنيتها يوماً ما و لكن الحياة تعكس السير و تقودك إلي طريق أخر أصعب و أكثر كفاحاً ، لم يعد شيء سهل على الإطلاق .

العدل لّيْسَ من سمات هذه الحياة ، ولم تأتك الأمنيات علي طبق من ذهب ، ولم ترتح ابداً ومطلقاً ، دائماً يتردد ذلك الصوت بداخلي ، أنت تستحق الأفضل ، أنت تستحق أن تعيش حياة أفضل من هذه الحياة .

لماذا كل ذلك حدث لي ، لماذا ؟ أعيش تلك الحياة وأنا المفروض أن أعيش أفضل أيام حياتي لماذا ؟ كل شيء جاء صعب جاء غير مكتمل لا أجد تفسيرًا لذلك .

لعبت الحياة معي لعبة الكراسي الموسيقية يوماً لك و أيام عليك ، أعطتني يوماً بجانب القمر و النجوم و باقي الأيام أعيش علي الذكريات ما بين السطور ، تركتني في وسط المعارك و الصراعات من أجل صعود درجات السلم .

و أخذت مني من كان يؤنسني يوماً ما ، و تركتني أكافح بل تعدني الآن بأن غداً أفضل ،

كم أنتِ عجيبة يا أيتها الحياة لَسْتِ عادلة ، و قاسية في معظم الأحوال .

تذوقت طعم الحسرة في هذه الحياة مبكراً التي تشعرك دائماً بقسوة الحياة..

رأيت عبث العالم فحينها التزمت الصمت ، رأيت الحب و رأيت القسوة ، رأيت الضجيج و رأيت الصيحات ، رأيت الرغبة و رأيت اللامبالاه ، تغيرت نظرتي و تغيرت رغبتي في الحياة.

***

دائرة من الفراغ تحوّم بداخلي وحولي أصبح الجميع أمامي ينظرون لي باستغراب

من هذا الشخص ؟

لا يتكلم كثيراً ، دائماً و حيد منفرد في الجلوس ، يبتسم دائماً يجلس ساهي ، لا يحب سوى العزلة عن البشر منقطعًا تماماً في النطاق الإجتماعي و لكن بين الناس يبدو محبوبًا .

" لوغاريتم " عن ذلك الشخص الغامض الذي يعرفه جميع الناس ، و لكن لا أحد يعرفه من الداخل جيداً ، نعم لم يتحدث كثيراً ، و لكن يساعد الناس ، يحترم الناس جميعاً لم يكن انطوائياً كما قال البعض و لكن حبه للجلوس وحيداً ، و حبه للعزلة من أجل السلام الداخلي .

قليل الحيلة ، قليل الكلام ، قليل الصبر ، أعمل في صمت ، دون حديث ،

و بدون إهتمام ، لا شيء يُذكر و لا شيء يُعاد.

أعمل ليلاً و نهارًا ، أحاول أن أثبت شيئاً ما يمكن إثباته و لكنني رجعت إلي نقطة الصفر من جديد ، لا شيء يتحسن بعد ، مهما حاولت مراراً و تكراراً .

نعم لدي طموح و أهداف كثيرة أسعي من أجلها دائماً ، و الجميع يدرك بأني مجتهد وصبور، ولكن هذا لّيْسَ كل شيء ، اكتشفت أن هناك أشياء أخري ، هناك طرق أخري وأساليب أخري خارج السياق ، ينبغي عليك أن تفعلها لكي تصعد درجات السلم الوظيفي

أن تكون قريبًا دائماً من القيادات بمبدأ الحاضر و نعم أن تلغي مبدأ الكرامة

أن تلغي القيم و الأخلاق والمبادئ التي توارثتها من عائلتك و من مجتمعك الشعبي الشرقي أن تلغي كل هذه الأفكار ربما نجاح و لكنه نجاح مزيف في إعتقادي .

لا أحد يتحدث معك ويقول لك أنك شخص ناجح ، أنت شخص رائع ، لابد من وجود انتقاد في الحديث مثلاً سوف يقول لك : أنك جيد ، و لكن يجب عليك أن تفعل شيئاً ما

شيء آخر يخرجك خارج محورك و اهتمامك ، ينتقدك لمجرد أنه يريد الانتقاد فقط من أجل إحساس نفسه بقيمته الجوهرية ، إلا القليل المؤمن بك هم الداعم الأكبر و غالباً يكون من أفراد عائلتك ، أما عن بيئة العمل تجد الكثير من الأشخاص المزيفين ، المحبطين ، السلبيين، المنافقين ، من النادر أن تجد أشخاصًا جيدة ولكن في الحقيقة يوجد الكثير من الأشخاص المتميزين و المميزين ، هذه الحقيقة و عليك أن تختار .

نحن نعيش في كذبة كبيرة ، حقيقة موجعة، مؤلمة ، خادعة للبعض ، الكل كاذب الكل خادع.

دائرة من النفاق نعيش بداخلها ، نحن من أفسدنا الحياة و كل شيء جميل ، خلقنا الصراعات والنزاعات ندعي المثالية و الأخلاق ، و نحن لا نعرف عنها شيئاً .

نكذب لكي نعيش ، نبتسم لبعض من أجل إخفاء الصندوق الأسود الذي بداخلنا ، الجميع خلف الجدران أعداء و خصوم ، ولكن في التجمعات و اللقاءات إخوة وأصدقاء ،

أي كذب هذا الذى نعيش فيه ، أي خدعة ، نعرف الحقيقة ولكن لا ننتبه لها.

من أجل المصلحة الشخصية ، كل شيء يفني كل شيء ينتهي ، تسقط الأخلاق ،

تسقط الوعود ، يسقط الحق ، نتعاون فقط من أجل المصلحة المشتركة ، تسقط المبادئ والقيم ، يسقط الجميع ، ويتبقي المصلحة .

و ماذا عن قلبي؟ قلبي! مازال يعاني حينما ... أتذكرها ، أشتقت إليها ، حرفاً و شطراً .

كيف نفارق بهذه البساطة و نحن ما اشتد بنا عناء الوصول ، أن تنسي شخصاً بعد ما كان هو العالم المضيء في وسط ظلام الواقع ، أن يغيب عنك كل ليلة ، يغيب بقرار من القلب وإقرار من عقلك أنت ، و لابد أن تتحكم و لا يؤثر فيك ذلك كل ليلة ، كان شعورًا حزينًا جاء من الفراق إلي الرحيل ، أقدر ولا أستطيع ، سيطرت الأحزان على أيامي .

مازلت أرفض أشياء ، و مازلت لا أتقبل أشياء ، أرفض الردود المنطقية ، الحل النموذجي ، تغير شيئاً ما بداخلي أري السواد فقط أمامي.

أعيش بداخل سلبية العقل والتفكير شعور الرفض الدائم الذي مازال بداخلي ، أساليب المقارنة المرهقة للنفس والإحساس الدائم بالظلم ، و عدم القناعة لأني ببساطة شديدة أري أني أستحق الأفضل والحياة لا تري ذلك ، ترسل لك سيناريوهات لا تناسبك لكي تكون أنت بطل قصتك.

أصبح حالي ..... لّيْسَ حالي ، أصبح كلامي مثل أفعالي مشتت ، أري الاحلام من بعيد ، أنتقد الكثير لا يعجبني تصرفات البعض ، معترض دائماً علي سياسة تعبير الأشخاص ، و نواطق الكلمات و الحروف ، أركز علي كل تفصيل يرهقني تفكيراً .

أصبحت تعيسًا ، محبطًا ، ، أري أشياء ، أنا فقط الوحيد الذي يراها لكي تعكر من صفاء حالي أصبحت باهتاً القول و المعني ، حتي الجلوس مع الأصدقاء ليلاً لم يعد يبهرني ، يريدون أن يفعلوا أشياء و أنا أريد أن أفعل أشياء أخري ، تسيدت لغة الاعتراض أيامي ، أرفض كل شيء ، لا أريد أن أفعل شيئاً وعندما تسألني ؟ ففي الحقيقي لا أريد أن أفعل شيئاً هناك ملل شديد يلاحقني في الحديث حتي الابتسامة أصبحت مليئة بالملل.

جاءت تخاريف الشيطان ، و قوانين العقل الباطل المعقدة ، أشعر بهوس ، عقلي كاد أن ينفجر من الداخل من التفكير الزائد و من صراعات و تصورات ليس لها أي أساس من الصحة ، أصور أشياء و أتوقع حدوثها و أسير معها علي هذا النحو أتحدث مع نفسي بصوت عالي بداخلى ، و أتحدث بهمس الرغبة ، أسكت و أنا أريد أن أجد أحدًا يسمعني بدون الانتقاد أو النصيحة ، غابت عني الروح ، فقدت التركيز لفترات كثيرة ، أدخن السجائر بشراهة : واحدة وراءها الثانية ثم الثالثة و كأني في سباق مع لهب كاد أن ينفجر ، أشعر برجفة يدي ، لا أستطيع أن أتحكم فيها قد ساء الأمر ، و أنا أصبحت لّسْتُ أنا ، الشخص البشوش المبتسم دائماً مع الجميع ، الشخص المرح ، الذي كان يهرج و ينشاء حوارًا و حديثًا ممتعًا ، أصبح شخصًا فارغاً يعيش أسوء أيامه.

إنها ليست البارحة ، إنها ليست مطاف العمر ، لّيست الخروج من عالمك ، بل الدخول إلى عالمك الآخر ، الوَجْه الآخر ، اليائس الحزين ، النصفُ الأكثر مُعاناة ، تري نفسك دائماً بداخل الحديث شخصًا غريبًا يهِزُ الرأس ، يُدخِن السجائر ، يجلسُ وحيداً ليلاً ، لا يتحدث مع أحد من الأصدقاء ، فهُم لا يشعرون بما تشعر به ، يُمزجون السخرية في الحديث ، ينتقدونك لأنك ببساطة شديدة تريد أن تجلس وحيداً ، لا أحد يشعُر بكَ من الداخل ، لا أحد يشعر بنيران قلبك و انطفاء شعورك بالوجود و عدم الوجود.

أنت فقط و لّيْسَ أحد ، أنت تُعاني و هذه المرة كانت أصعب اللحظات و الأوقات ، رحلة بداخلك رحلة مع النفس ، أشدُ و أصعبُ اللحظات التي تفتقد فيها شغف الرحلة و كأنك تنظر من النافذة فى سكوت ، تذهب في الرحلة و أنت مُشاهِد ، لا تُريد الحديث أو النقاش مفرط في التخلي ، لم يقتصر شعور العزلة معي إلي الانعزال فقط و لكنه وصل إلي التجنب ، تجنب الحديث و تجنب النظرات حتي لم يعد الانبهار شيئاً يجذبني فقد فات ميعاد نظراتي لأني أنظر إلي داخلي إلى أعماق خيالي.

حتي مع عائلتي ، أقتصر الكلام على : أهلاً و سلام.

أرجع من العمل ، أجلس في غرفتي ، لا أريد النزول ، و لا أريد الحديث ، متهالك تماماً، مرهق منزعج من الكلام ، شديد الغضب و الانفعال .

جاء الاكتئاب ... ليحجز مكانة في خانة ... أيامي

***

تحاول الهروب من أفكار و مؤشرات ، تحاول الهروب من الضمير للشهوانيات ، تحاول الركض وراء الرغبة وراء سواد العالم ، و تحاول الهروب إلي الملذات و المغيبات ، تحاول أن تنسي ما يمكن أن يُنسي ، و لكنك تتقرب بلطف و تتعلق بالأشياء الجميلة ، مازالت روحك بيضاء مثل قلبك ، لا تريد الذهاب الى نفق مظلم.

و أن .....

تترك ، الصلاة و الدعاء ، و التقرب من الله

نفسك ..... تحارب ..... نفسك ! ضميرك الطيب يتحدث مع نفسك أمام الضمير المذنب الأسود ، أنت في وحل و صراع و في حرب من داخلك أنت لا تمتلك الشعور ولا تمتلك سرعة الرد لَسْتُ قوياً بما يكفي أو أكثر إيماناً لكي تتغلب في صراعك وأنت في أواخر العشرينات ،

لم أعد طفلاً ، و لكنني صغيرً على كل تلك الأجواء .

اليوم ... لّيْسَ البارحة ... و غداً لّيْسَ اليوم ... ولكل عمر ... صراع ... و رغبة ...

لسنا سعداء و لكننا يجب أن نعيش ... لسنا رائعين ...

و لكننا علي الأقل جيدين من البداية ... افتقدنا لأشياء من بداية الرحلة و لكن ... الرحلة مازالت مستمرة ...

إذا لم أستطع ان أجريها ... فيجب أن أستثمرها ... لكي أرى خيراً منها.

الهروب من الواقع لم يعد اختيار ، فالجميع يصعد علي درجات السلم و أنت ، تحملق إلى الأعلى ، تنظر الى الناس من مردود أن الحياة كانت سهلة متيسرة لهم ، أما أنا فجاءت صعبة غير مستقرة من البداية.

دائماً نمتلك هذه اللغة للرد علي أنفسنا بداخلنا ، و كأننا غير مقصرين و نلعب دور الضحية، لنرضي أنفسنا بداخلنا.

و لكن إذا ظلت الحياة بهذه الطريقة على هذا المنوال سيظل أنت تعلق ظروفك علي شماعة الحظ تعلق أخفاقك على الحياة!! كونها صعبة وغامضه عليك من البداية ، و سهلة

و واضحة كوضوح الشمس لأشخاص آخرون ، هل ستظل تقنع نفسك بهذا ؟!!

***

" عاصفة الصفعة "

كان ليلاً يُشبه الحلم ، كان ليلاً يُشبه الخيال ...

تركت روحي جسدي ... و فارقت الحياة ...

في البداية و مع احتفالات رأس السنة و الجميع يحتفل و الشوارع مُزدحمة و الألعاب النارية تملأ السماء والجميع في سعادة لحلول عام جديد ربما يكون أفضل من العام الماضي لتصحيح المسار و الأخطاء لبداية جديدة و علي غير العادة أتجول فى وسط هذه الاحتفالات وحيداً مُنفرداً ، يخرج الشباب و الفتيات في الأماكن العامة وكذلك الأصدقاء و أفراد العائلة من أجل الترفيه ، الجميع سعيد و متحمس جداً ، ولكنني أدخل هذه السنة و أنا متأثر بصدمة عاطفية قاسية أربكت حساباتي ، و عُدت إلى وحدتي من جديد و لكن سرعان ما أدركت بأنها تجربة و سوف تأخذ وقتها و أنسي و ينتهي كل شيء ، مجرد و قت ، كانت الشوارع منيرة و في غاية الجمال و الروعة لحظة الجميع يهتف ، لقد دخلنا عاماً جديدًا 2016 بداية مشرقة مليئة بالتفاؤل لبعض الناس ، و لكن بالنسبة لي كان الموضوع مختلفًا تماماً ، عليَّ أن أتخطى بعض الإخفاقات التي تعرضتُ لها في السنوات الماضية ، لبداية سنة جديدة بأمل جديد وأهداف جديدة ، أن أحاول تغيير أي شيء يمكن تغييره ، ولكن في حقيقة الأمر قد يحدث شيء ما ، قد يغير كل الأمور مثل السنوات الماضية ، وهذا طبيعي فأنت تأمل وتحلم و ربما يأتي الواقع عكس الأمنيات التي تحلم بها ، و لكن سوف أبذل أقصي جهدي لكي أستطيع أن أصلح ما تم إفساده.

لقد عاهدت نفسي بأن أبدأ من جديد ربما أمل ... ربما خير .

***

و مع بداية العام الجديد ..

تضع كل مؤسسة خطة جديدة للتسويق والبيع و استراتيجية جديدة وتطلعات مستقبلية لأهداف الشركة في توسيع نطاقها و تطوير أعمالها و لزيادة حجم الأعمال و انتشارها في السوق عن طريق حملة إعلانية ضخمة لتجذب أصحاب رأس المال والمستثمرين لشراء وحدات عقارية ممتازة بأسعار خيالية ، و جودة عالية لتناسب احتياجاتهم وتوفير الذوق العصري الانسيابي الحديث ، و بالفعل قد قمنا بحملة إعلانية ضخمة علي غير العادة فنحن قمنا بتسويق أكثر من مشروع جديد سوف يتم تنفيذه من الشركة في أكثر من مكان في مدن جديدة و في محافظات جديدة ، و بالفعل تغير السوق العقاري وحدثت طفرة عقارية حديثة و كنا نحن من أول الشركات الرائدة في تلك البداية مع الإعلانات الضخمة ، والمشاريع الضخمة التي قمنا بتسويقها.

الأمر أعجبني كثيراً ...

و تلقيت أكثر من اتصال ، الجميع منبهر بالمشاريع الضخمة العملاقة التي تقدمها الشركة ، والكل يسأل عن التفاصيل ، و مواعيد فتح باب الحجز لتلك الوحدات .

بالنسبة لي ... الأمر أكثر من رائع كرجل مبيعات ، فالجميع منبهر بالمشاريع الجديدة ، التي أعلنت عنها الشركة.

***

بدأت أبيع أكثر من وحدة ، فالمشاريع التي تقدمها الشركة مشاريع ممتازة ، وعلي المستوي الشخصي قد أبهرتني أنا شخصياً فأنا ، أعمل في هذا المجال و في الشركة منذ قبل الثورة ، لم تحدث من قبل هذه الطفرة العقارية ، الجميع منبهر و أنا مثلهم تماماً و مقتنع بفكرة البيع فأنا و لأول مرة ، أبيع مشروع بالكامل قبل تنفيذه و هذا كان أعظم إنجاز قد قمت به ، و يأتى الفضل للحملات الإعلانية التي قامت بها الشركة ، و ايضاً المشاريع الجديدة في غاية الجمال والروعة، فريدة من نوعها ، تعطينا الأفضلية في وسط السوق العقاري و بين الشركات المنافسة فقد وجدنا اسم شركتنا قد انتشر و استطعنا أن نسيطر و نبهر السوق العقارى بجميع الأذواق كان الجميع سعيدًا بما قدمته الشركة من هذا النجاح ، الأمر كان أكثر من رائع ، فقد نفذت الخطة المطلوبة مني لمدة سنة قد نفذتها أنا و فريق المبيعات في شهر واحد فقط ، تلقيت اتصال من أحد كبار عملاء الشركة يريد شراء وحدات عقارية بأسعار فلكية في أكثر من مكان ، ويريد أن يشاهد الموقع ، من أرض الواقع الأمر أعجبنى كثيراً ، و علي الفور أبلغت مديرى بهذا الموضوع و تلقيت منه إشاده عظيمة كان سعيدًا بذلك الخبر وكان فخورًا بلإنجازات التي تقدمها الشركة فاستطاعت الشركة أن تجذب كبار العملاء القدامي أيضاً فكان هذا الامر رائعًا بالإضافة لانجذاب عملاء جدد ، وعلي الفور أبلغني بأن أذهب إلي العين السخنة لمقابلة هذا العميل ، كما أبلغني بأنه قد تحدث مع حارس الاستراحة و قد أبلغه بأني سوف أذهب إليه ، كما حدثني علي ضرورة إنهاء هذه البيعة و حدثني علي التعامل مع هذا العميل بصورة جيدة فهو من أحد كبار العملاء.

اتصلت بالعميل و أخبرته بأنني غداً سوف أكون في العين السخنة متواجدًا في المشروع

و أكون بانتظاره صباحاً ، و بالفعل أخذت السيارة و ذهبت إلي المنزل لتجهيز أغراضي ،

و لكن هناك شيئاً غريبًا ...

يبدو بأن هذا الحدث قد حدث لي ، و قد رأيته أو عشته من قبل ولكن في الحقيقة هذا

لم يحدث أم حلمت بهذا ، أم أن عقلي قد عاش هذا الحدث و لكن أتذكر الأحداث والتفاصيل ما الذي يحدث لم أجد تفسير لذلك هذا غريب عليَّ ، نعم هذا حدث لي من قبل لم أكن مجنون قد عشت هذا الحدث في الخيال نعم في الخيال فكيف أعيشه من جديد في الواقع!! كل الأشياء متشابهة و الأحداث جاءت كما هي ، لا أجد تفسيراً لذلك ، نعم لقد حدث ذلك لي في مرة سابقة ، قد رأيت تلك الأحداث قد رأيت غضب العاصفة وظلام الليل الداكن ، والطريق نظرت من النافذة و أنا في المنزل !!!

رأيتُ السماء غاضبة تبدو شديدة الغموض ، مُتقلبة المزاج ، كأنها تحدثني و تخبرني بقوتها في الصفعة و العاصفة ، ثم رأيت البرق و انقسمت السماء وتلونت مثل الصباح ثم تحولت إلى الظلام ثم جاء صوت الرعد .

إنها علامة من ربي بأني لا أكمل هذا الطريق ، الجو صعب و السماء شرسة وقاسية.

ولكن ماذا أفعل الآن !! يجب عليَّ أن أسافر إلي العين السخنة ، فأنا من اتفق مع العميل بأن أقابله غداً في الصباح الباكر ، في العين السخنة.

كان الوقت متأخرًا ليلاً .

قد تأخرت كثيراً لا أستطع أن أنزل من شدة الأمطار وتقلب الجو ،

و حارس الاستراحة الخاصة بي كان ينتظرنى هناك ، لتسليمي مفتاح الاستراحة الخاصة بموظفين الشركة ، يجب عليَّ الذهاب ، أخذت أغراضي وحقيبة السفر الخاصة بي ، كنت في عجلة ، متشتتًا متوترًا لا أعرف صعوبة الأمر وصعوبة الطريق ، فالسماء فاتحة ذراعيها ، و غاضبة و السيول تلاحقني من كل مكان ، رتبت بعض الأمور و جدت السيارة فارغة تماماً من

الوقود ، ذهبت الى محطة الوقود ، أخذت مايكفيني من وقود ، ولكن في وسط تلك الأجواء كنت مستمتعًا جداً من الجو البارد و رائحة المطر والنسيم الذي يطير العقل.

بدأت طريق السفر إلي العين السخنة على ألحان "Scorpions"

الموسيقي المفضلة لي في تلك الأجواء

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل

كان الطريق خالي يشبه الحلم أو الخيال أشعلت سيجارتي و أنا مستمتع مع الموسيقي التي أعشقها ، أصبحت علي طريق عين السخنة.

أقود السيارة ... و أنا بين حنين ... الماضي ... و ذكرياته.

وفجأة انفجرت عجلة القيادة الخاصة بي كان الطريق مبتلًا من الأمطار ، و السيطرة على السيارة في تلك الأجواء كان صعبًا جداً بالنسبة لي.

أصرخ بشدة ... نعم كنت أعرف ذلك سيحدث لي نعم رأيته من قبل أشاهد السيارة

و أنا بداخلها و هي...

تنحني...

و تخرج عن سيطرتي...

انقلبت السيارة أكثر من مرة...

كانت أخر لحظه أتذكرها...

عندما ذهبت إلي الناحية الأخرى إلي الطريق المعاكس و أنا بداخلها منتظر الصدام

ثم .... ثم أتت سيارة تسير بسرعه كبيرة سائقها لا يري شيئًا

كنت بالنسبه له مطب صناعي

و من هنا أتت الصدمة و الصدام

ثم و بعد ذلك أخر شيء رأيته الدماء وهي تسيل مني

ساقطًا علي الأرض في محيطها

أري حشدًا كبير من الناس متجمعين أمامي الكل يشاور ، يوقفون الطريق.

و أسمع صرخات الناس

حادثة ..... حادثة ..... يا ستَّار يارب .... أكيد توفي

أشتد الضجيج و الإزدحام ، ثم جاءت سيارة الإسعاف أمامي ومن بعدها غابت عيني عن الواقع و الحياة.

ينطفيء النور تدريجياً سيختفي كل شيء أمامك إنها لحظة بين الحياة والموت لحظة بين الخيال والحقيقة قد يطول الأمر و قد ينتهي إلي الأبد .

إنها غيبوبة الموت الهامش الفاصل بين الواقع و الخيال بين الحياة و الموت يراك الجميع علي سرير العناية المركزة و لكن أنت تطفو ، تذهب الى عالم أخر الي عالم الخيال و الاحلام تطير في الأعلى تشعر بالجميع وتراهم و تسمعهم و تقابلهم تري النوايا الحقيقية و المشاعر المزيفة و المشاعر الحقيقية.

ولكن في عالمك الخاص بك جسدك أمامهم و لكنك تطير حولهم تشعر بأرواحهم وعقلك يعيش واقع وحياة أخري ، حياة ثانية تقابل أشخاص قد فارقوا الحياة تري الأحداث سريعة متقلبة تري الثورة و المظاهرات تري الأحداث سريعة تري الصدام و الواقعة ، تري الاصدقاء و زملاء العمل ، تري النويا و المشاعر الخفية وكل ذلك و أنت فوق السرير ، إنها رحلة مثيرة مشوقة مؤلمة مليئة بالإثارة و الآلام.

تقترب من الموت تري أشخاص يسحبوك لهم ، تري القسوة و الآلام تري الجانب الأخر من الذكريات و الأيام بصورة عكسية لَيسَت صورتك الأصلية أو لّيْسَ واقعك إنه واقع آخر ، واقع غير واقعك تري الحياة و المواقف من وجهة نظر أخري ، واقع أخر غير واقعك...

حلم أو كابوس كنت أشعر بالألم أري أشخاص لا أعرفهم يتحدثون لي عن قسوة الحياة و أن هذا المكان أفضل لك ، يتحدثون معي بأني لا أتركهم و أرحل فأنا لا تعجبني الحياة و واقعها و و علي الناحية الأخري أري أهلي و أقاربي و أصدقائي ينادون عليَّ و يتحدثون لي بأني أستطيع أن أعود ... و ضرورة أن أتمسك بالأمل و أبقي قوياً .

أري شخصاً ينظر لي من بعيد ، ينتظرني ، يقترب مني لحظة بلحظة ذو ملامح شريرة ملامح شرسة يخوفني كلما اقترب أكثر فأكثر ، ملامحه مني و لكنه لّيْسَ أنا.

ملامح شديدة القسوة ، تعبر عن الموت و كأنه جاء ليأخذني من الحياة ، أتذكر تلك النظرات أتذكر عبثية الملامح .

إنها الغيبوبة ؛ همزة الوصل بين الحياة و الموت بين الواقع و الخيال ، صراع بين الحب والكراهية تجد و تستكشف النوايا ، تنظر من منظور أخر ، من منظور لّيْسَ عالمك ، إنه عالم أخر ، لا يوجد به أسئلة ، عالم خالي من أحد ، عالم خارج النطاق و خارج حدود المنطق.

روحك هي التى تعيش تلك الاجواء تذهب إلي أرواح أخري تتجول داخل النفوس ، تذهب بعيد خارج مدي الأحلام و الخيال ، إنه مثل كابوس و لكنه واقع آخر، حياة أخري بها مشاعر و تلاقي.

كنت أعيش بصراع ، صراع البقاء و الرحيل.

البقاء و إنهاء مسيرتي فى الحياة التى لو عُدت لها لم يعجبني واقعي الصعب المليء بالمُعاناة و الحسرة .

أو الرحيل ، و البُعد عن عائلتي التي أشعر بهم يتمزقون و ينهارون من البكاء و الدعاء ليلاً و نهارًا من أجل أن أعود إلي الحياة مرة أخري.

***

و بعد مرور ثلاثة شهور ... !!

دقت عقارب الساعة..

الثانية عشرة من منتصف الليل ألحانها والكل في آذان صاغية والكل يعيش علي أمل ، و الأمل لا يكتمل ، وغير محتمل.

فالأخبار جاءت متناقضة ليست سارة بالمرة.

و الكل ملتزم بالدعاء .. لعل القادم أفضل.

الحقيقة الثالثة ، الثابتة

" الموت الحقيقة الثابتة الغير قابله للتغيير ، لكل شيء بداية

و نهاية ، الموتُ هو نهاية الحياة ، الموت بداية أخري ..

حياة للروح بدون جسد "

فتحت عيني تدريجياً ، رأيت الصورة باهتة غير مرئية و بدون تفاصيل ، ثم وضحت الرؤية رأيت نفسي بداخل غرفة مليئة بالأجهزة لا أعرف أين أنا ؟ و كأني قادم من آلة عبر الزمن !!

و كأني أصبحت في زمن آخر و عصر آخر .

سمعت صوت إنذار شديد اللهجة ، نظرت إلي الأجهزة بجواري جميعها تتذمر وتلقي بمؤشرات و إشارات.

ولكنى أدركت من الجراح التي في يدي ، بأني قمت بحادث و أنا الآن في غرفة العناية المركزة

لا أستطيع التنفس ، لا يوجد تنفس ، لا أستطيع أن أخذ النفس من أعماق أعماقي و لكني لا أجده .

لا أستطيع التنفس ، لا يوجد نفس ، أنا هنا في مأزق !!!

و قلبي ينبض بسرعة كبيرة جداً

كانت الغرفة خالية من أحد ، و الإنذارات و أصوات الأجهزة تعلو ، ولا أحد يسمعها ، أدركتُ بأنها النهاية قد حانت ولا بديل سوى الاستسلام و الذهاب الي الموت و الرحيل.

أهتز على السرير بشدة ، جسمي يرتعش من البرد القاسي ،

و كأنى إستيقظت بالقطب الشمالي لا أجد نفس ينقذني ، لا أستطيع أن أخذ نفس ،

روحي بدأت في الإنسحاب و الاستسلام و أنا أزداد في الاهتزاز و الارتعاش، و تقطيع الأنفاس.

و فجأة ..

دخل الممرض ليستلم الوردية الخاصة به

رأي هذا المشهد ..

و صوت الأجهزه المتذمر الذي ينبه الجميع بأن المريض علي وشك الرحيل للأبد .

ذهب الممرض بسرعة إلي الخارج ، ثم عاد و معه الطبيب رأى المشهد الصعب و تعامل معه باحترافية شديدة أعطاني الكثير من الأكسجين لكي أستطيع التنفس من جديد و بالفعل

قد أنقذ حياتي ، الممرض و الطبيب ، بدون هؤلاء كنت فارقت الحياة

نعم استيقظت من الغيبوبة و لكني أ استيقظت علي مُعاناة و إذا لم يتم إنقاذي كنت ذهبت الى الموت الذي لا مفر منه أبداً.

تحدث معي الطبيب بوجهه المبتسم البشوش

حمدلله علي السلامة..

كنت تريد أن تذهب و تتركنا..

أنت من جاء من الموت إلي الحياة مرة أخري..

أنت من ذهب و عاد..

طبياً و علمياً أنت شخص متوفٍ لا رجعة له جئت الي المستشفي بدون نبض و تنفس

أنت بطل..

لم تدرك حجم المُعاناة التي عشنا بها معك لمدة ثلاثة شهور، فأنت حالتك كانت خطيرة للغاية.

أن تكون بغيبوبة لمدة ثلاثه شهور بحالتك ثم تعود الي الحياة مرة أخري هذا إعجاز طبي عظيم و شيء رائع أن تستجيب الي العلاج و تقاوم حالتك الصحية المتدهورة.

أن تعيش مرة أخري كانت النسبة ضئيله جداً ، وقد أخفينا هذا الأمر عن عائلتك و عن الجميع.

ثم قال لى...

أنت من يطلقون عليهم (زعقلك نبى) لكى تعود للحياة مرة أخرى

أهلاً بكَ إلى الحياة مرة أخري

أتكتبلك عمر جديد موعدك لم يأتِ بعد

ربنا لطف بك

تحدث الطبيب مع الممرض ، وقد أبلغه بالاتصال بعائلتي وأبلغهم بأني قد استيقظت من الغيبوبة ورجعت إلي الحياة مرة أخري و ذلك كان بعد ثلاثة شهور.

كان كلام الطبيب بمثابة حافز كبير لدي أعطاني إيجابية واقعية على هذه الظروف القهرية التي أعيشها لأول مرة في حياتي.

ثم أعطاني الطبيب بعض من الأدوية و بعض من المهدئات لكي أذهب الي النوم سريعاً.

و في اليوم التالي وعندما أستيقظت من النوم ، رأيت عائلتي أمامي ، و لأول مرة ، رأيت أبي يبكي هذا الأمر أحزنني كثيراً ، أن تري الدموع في عين أبيك ، تريد أن تقوم من علي السرير بأسرع وقت ممكن لتجلس معه وتعوضه عن تلك الأيام.

و كان يحمد الله على عودتي الي الحياة مرة أخري.

رأيت أمي تعانقني و تبكي بشدة لعودتي الي الحياة ، وتحمد الله كثيراً.

رأيت أخي و أختي و هما يُقبلون يدى الممزوجة بالجراح و رأسي يحمدون الله علي سلامتي.

رأيت الابتسامات مع الدموع ؛ رأيت مشاعر صادقة رأيت حبًا صادقًا كامل المشاعر،

وأنا أبكي بداخلي ، و أحمد الله بأني رجعت إلي الحياة مرة أخري لكي أكون بجوار عائلتي و هذا يكفي بالنسبه لي.

عائلتي الذين تحملوا العناء و الآلام لمدة ثلاثة شهور و أنا غير موجود بالحياة ، عائلتي فعلوا كل ما بوسعهم ، لكي أعود إلي حياتي مرة أخري.

تغيرت النظرات ، الكل سعيد ، الكل يحمد الله علي عودتي إلي الحياة مرة أخري

و نظراً إلي حالتي الصحية لا يمكنني أن أتحدث نظراً لوجود كسر في وجهي وكسر في الفك العلوي و السفلي ، فكان فكي مربوط بأسلاك طبية لتثبيت الكسور.

ولكني كنت أريد الحديث مع عائلتي ولكنني للأسف الشديد لا أستطيع.

ثم جاءت فكرة الكتابة

و كان أول شيء أكتبة بعد الحادث..

إلى عائلتي الحبية : أبي ، أمي ، أختي ، أخي

الحمدُلله أني بخير

الحمدلله بأني بجواركم الآن أنتم الجانب الأفضل الأعظم لدي في حياتي و في العالم أجمع ، وأتمني ، أن تكونوا بجوارى العمر كله ، نعم أعرف بأنكم قد تجاوزتم أيامًا صعبة أيامًا مليئة بالعناء و الآلام ، و لكن الحمدلله بدون هذه الأيام الصعبة ، لم أكن أنا هنا علي قيد الحياة ، أنتم بعد الله سبحانه و تعالى ، لكم الفضل بأني رجعت إلي الحياة مرة أخري ،

" أنا بدونكم لم أكون "

قد أخذوا تلك الرسالة النصية ، بسعادة و سرور فأنا أصبحت أفضل ، بالإضافة إلي ذلك أعبر عن شعوري و أحاسيسي بالكتابة فكان الجميع سعيدًا بذلك.

و مع تحسن حالتي فقد أبلغني الطبيب بأن حالتي الصحية أصبحت مستقرة وسوف

نترك غرفة العناية المركزة ونصعد إلي غرفة أخري لحين الإطمئنان عليَّ وعمل الفحوصات والإشاعات اللازمة للاطمئنان عليَّ ، وبعد ذلك ، إذا تحسنت الأمور ، سوف أترك المستشفي وأذهب إلي البيت ، و المتابعة معه في عيادته الخاصة بعد ذلك.

و لكني...

كنت أريد أن أتحدث مع الطبيب و بالطبع لا أستطيع فكانت رسالتي النصية الثانية

إلى الطبيب / العظيم.. أنا شاكر لك ، فأنت صاحب الفضل أنت من أنقذتني أنت والممرض، بشكركم من قلبي ، فأنتم من أعدتم الأنفاس بداخلي ، أنتم من ساعدتونى أن أتجاوز تلك اللحظة التي كانت و مازالت أصعب الدقائق التي مريت بها في عمري أجمعه ، أنا شاكر لك و مُمتن لك جداً .

تقبل الطبيب هذه الرسالة باتسامة عريضة و حدثني ***قَائلاً***..

أولاً.. لا يوجد شكر فهذا عملي و يجب أن أقوم به علي أكمل وجه.

ثانياً.. أنت رجل محترم ، الجميع يحبك و يحترمك ، سيرتك طيبة ، الكل كان بجوارك وبجانبك أنت لَيْسَ مجرد مريض ، أنت حالة خاصة يا فندم ، أما عن عملي هذه حياة مريض لا يجب الاستهانة بها ، بالعكس يجب تقديم المساعدات طيلة الوقت لكي يتجاوز هذه المرحلة الصعبة

و الحمدلله تجاوزنا تلك المرحلة ، بفضل الله ، و أحب أقول لك إذا أردت أن تشكر أحدًا فاشكر عائلتك : فهم من تذوقوا طعم الحسرة والألم

ثم وضع يده علي صدري ***قائلاً..***

" أنت مُت و صحيت "

عارف ما معني ذلك؟

نظرت له و قمت بهزّ رأسي ، فأنا الوحيد الذي يعلم بحجم المُعاناة التي عشتها

ثم أخبرني ...

أستأذنك عندي عملية جراحية بعد قليل ..

إذا احتجت أي شيء أخبر الطاقم الطبي و هم سوف يفعلون كل شيء تحتاجه

و أنا تحت أمرك في أي شيء ..

حمدالله علي السلامة يا بطل .

ذهب الطبيب ثم جاء الممرض بابتسامة نقية ابتسامة طفولية رأيت السعادة علي وجه طبيعي جداً لّيْسَ متصنع.

حدثني..

حمدلله علي السلامة يا بطل

و ما هذا أنت بتكتب

وقد رأي أخر رسالة نصية كنت كاتبها إلى الطبيب

إبتسم هو أيضاً ***ثم قال..*** لا داعي للشكر

الحمدلله أني جئت في الوقت المناسب

ربنا هو من يدبر الأمور ، ربنا كان رحيمًا و رؤوفًا بك

الحمدلله ربنا بيحبك الحادث كان صعبًا كان حادثًا جسيمًا

ثم أخبرني بأني سوف أذهب معه الى الأسفل لكي نجري بعض التحاليل و الإشاعات.

نزلت مع الممرض إلى الأسفل.

فوجئت بأن الخبر انتشر في جميع أنحاء المستشفي الكل ينظر لي ، البعض ينظر لي بشفقة والبعض ينظر لي يتعجب ، فأنا وجهي مشوه و ممزق تماماً ، ولكن كان هناك من يعرفني ويلقبوني بأني أنا الشخص الذي عاد من الموت مرة أخري و أنا أسير بالمقعد المتحرك في طرقات المستشفي و أنا شديد التعب و الألم أنظر إلي الممرض و هو ينظر لي .

أنظر إلي من حولي و الممرض يقود المقعد المتحرك ولكني قد رأيت أحد المرضي قام بحادث أدي إلي فقدان ساقه .

رأيتة أمامي ثم نظرت الى الممرض

نظر لي و قال:

الحمدلله ، أنت تحمد ربنا أن الأمور انتهت بذلك كل ما حدث لك كسور عظمية فقط و إن شاء الله يتم علاجها و مع الوقت الأمور سوف تكون أفضل.

أدركت من هذه اللحظة وعلي رغم من حالتي أدركت بأن الحمدلله الأمور لم تتصعد بعد ، والحمدلله علي كل شيء.

ثم عدت إلي غرفة العناية المركزة تلقيت العلاج ثم ذهبت إلي النوم.

و عندما أستيقظت رأيتُ ازدحامًا شديدًا في غرفة العناية المركزة.

حسناً قد أتي موعد الزيارة الأولي لي ، بعد أن أستيقظت من الغيبوبة ، رأيت أقاربي و أهلي وأصدقائي و زملاء العمل ، الكل كان سعيدًا والجميع يحمد الله علي رجوعي إلي الحياة مرة أخري.

و لكن قد فاجئني أمراً هناك من جاء لي لكي ينظر إلي حالتي و من جاء لي لكي يطمئن عليَّ و من جاء ليلحق موعد الزيارة فقط ، ومن جاء و الدموع تملأ وجه و يبكي عندما ينظر لي.

في هذه اللحظات ، أنت تدرك قيمة الإنسان الحقيقية تري الصورة الأولي بدون انعكاس الصورة ذاتها ، تري الأشياء علي حقيقتها دون أن تتجمل أو تتلون ، فلا شيء يدعي ذلك .

رأيت زملائي في العمل ، الذين علمت لاحقاً بأنهم لم يتركوني لحظة ظلوا بجانب عائلتي ظلوا يحضرون إلى المستشفي ومتابعة حالتي الصحية ، رأيت في أعينهم حب و إخلاص بساطة نقية نعم هم لم يشبهوني و أنا لم أشبهم و لكنهم حقاً أصدقاء رائعون ظهروا علي حقيقتهم ومعادنهم الأصيلة ، رأيت نظرات مريحة ونظرات قد محت أشياء كثيرة عني كوجهة نظر ، أدركت بأن الأيام الصعبة تكشف وتقيم الإنسان و تعطيه القيمة الحقيقية.

***

"أعماق يقيني"

أصبحت الكتابة أسلوبًا عصريًا حديثًا ...

استخدمه للتعبير والحديث لوقت مؤقت لحين التعافي بشكل سليم يضيف لي فلسفة أخري للحياة ، فعندما أكتب رسالة نصية ، أنتظر التعبير الأول ثم الرد و الحديث ، و في بعض الأوقات وعندما ينتهي وقت الزيارة أصبحت الغرفة فارغة من أحد الكل رحل ، و لم يتبقي سوى أنا و الممرض ، نتحدث ليلاً أنا وهو ، أنا أكتب وهو يقرأ ثم يرد .

كان وقتاً فارغاً فى الليل ، أكتب إلى الممرض أو أكتب إلي الطبيب مثل استفسارات أو استشارات طبية ليرد علي لاحقاً عندما يقرأها

و أحياناً ...

أكتب لنفسي ليلاً بعض الخواطر و بعض القصائد فلا يوجد شيء أفعله غير أني آخذ العلاج ثم أذهب إلى النوم ، و أتناول بعض من الوجبات الصحية ثم أنتظر وقت الزيارة لأري الجميع ، هذا الوقت الذي كان محببًا لي " وقت الزيارة "

و لكني ...

لا أشعر بقدمي اليمني و عندما أنظر لها أجدها منتفخة بصورة كبيرة وعندما تحدثت مع الممرض أبلغني بأن هناك كسر في الحوض ، و تهتك في عضلة الفخذ و أن قدمي كانت مصدر الصدام هي من هلكت في الحادث كما أخبرني بأني أحمد الله كثيراً علي ذلك و علي لطف الله وأخبرني أيضاً ، بأني غداً سوف أخرج من العناية المركزة و أذهب إلي غرفة ثم وبعد أن يتم الاطمئنان عليَّ بصورة دقيقة ، سوف أذهب إلى المنزل.

و بالفعل تركت حجرة العناية المركزة و ذهبت إلى الغرفة

و أنا خارج من العناية المركزة نظرت لها ، ***و قائلاً في أعماقه يقيني:***

"هنا عادت روحي إلي جسدي هنا عُدت إلي الحياة"

تحدثت نفسي التي بداخلي ، كانت أصعب أيام حياتي أيام الغيبوبة ، سوف أظل أكتب عن تلك الأيام وقسوتها وصعوبتها و عن مشكلة التنفس و النفس الذي كنت أبحث عنه و لا أقدر أن أحصل عليه إلا بمساعدة الطبيب و الممرض.

الحمدلله علي هذه الأيام ، الحمدلله دائماً و أبدًا .

أدركت من داخلي بأنه كان حادثًا صعبًا و الخروج منه معناه أن تفارق الحياة ، الخروج من السيارة بعد الصدام والدخول في غيبوبة ثلاثة شهور ، ثم بعد ذلك أن أعود إلي الحياة مرة أخري كان أمرًا شديدًا الصعوبة .

إنجاز ، و إعجاز ، بفضل الله و بفضل الدعوات و بفضل الجميع.

أحياناً تعطيك الحياة فرصة لتعيش من جديد فرصة أخرى لكي تصحح مسارك واتجاهك وتضع أولويات ومسؤوليات في حياتك ، تنظر إلى الحياة من منظور آخر ، تتغير المعاني بداخلك لتجد نفسك راضي تماماً مقتنع بتدابير الله سبحانه و تعالى ، تدرك حقائق بداخلك ، تعرف حقائق و أهمية كل شيء بداخلك ، الصراعات و النزاعات وضغوطات العمل والحياة والمسؤوليات خلقت أشخاص مرهقة حقائق مزيفة لي لّيْسَ لها صحة ، لا تقدر من خلالها أن تميز كل ما حولك ، لذا دعني أن أخبرك بأن كل هذا لّيْسَ له قيمة ؛ النزاعات والصراعات تفقد للحياة الجانب المضيء تخلق هموم و أوهام لَيسَت لها حقيقة ، فالحقيقة دائماً و أبداً ، إننا نعيش حياة مؤقتة مع من نحب ، نترك الأثر الاعظم و نعيش في دائرة من الصراعات التي تفقد العقل حواسه في افتقاد أهمية أنت تعيش حياة قصيرة ، تترك الأثر الطيب ، و تركض وراء حياة سوداء من صنعنا ، نحن من صنعها و من أفسدها بقسوة الأيام ، بطبيعة الجنس البشري المنتج والمصنع والمصدر لكل شيء نحن ملهمون ولكننا صنعنا فوارق في الحياة ، هناك من استطاع وهناك لم يستطع ، فكان لليقين أن يعرف أهمية أن تعيش مع من تحب.

الابتلاء : "رفعُ المقام و عوض عن الأيام"

نور الشمس يضيء من جديد بعد عتمة طويله من الجراح و الآلام يدخل من النوافذ ليضيء غرفتي في المستشفى.

استيقظت على نور الشمس المتسلط علي عيني كانت الحجرة مثل طبق الذهب .

ثم ...

حضر مديري ... شديد الابتسامة .

ابتسامة لم أرها و كأني نفذت خطة البيع المطلوبة مني و أنا في الغيبوبة.

تحدث معي ***قائلاً***:

الحمدلله علي سلامتك ... وحشتنا يا بطل

الكل كان حزينًا عليك

أنت لا تدرك قيمة نفسك

الجميع يحبك بإسلوبك و سلوكك

الكل يقدر قيمتك

الحمدلله أنك بخير و سوف تعود إلي العمل في أقرب وقت إن شاء الله.

و كنت حابب أن أخبرك بأن العميل الذي كان في انتظارك علم بما حدث لك ، و أنت ذاهب إلى العين السخنة لكي تقابله هناك ، و كنت حابب أقول لك ، بأن..

العميل إشتري الوحدات التي كان يريدها.

و هذه البيعة سجلت ... باسمك

أسعدني كلام مديري جداً ، ففي الحقيقي لا أتوقع كل ذلك يصدر منه ولا أتوقع هذا الكلام منه الكلام الذي جدد و رفع معنوياتي بصورة كبيرة و للأسف لم أره أبداً بتلك الصورة ،

كان دائماً شديد الغضب والانفعال وكثير القلق و لولا هذا الحدث ، لم أعرفه علي طبيعته من قبل فأنا ولأول مرة أتحدث معه خارج نطاق العمل .

أدركت من هذه اللحظة بأنه أخ و لّيْسَ مجرد مدير أو زميل في العمل .

تحدث مديرى مع عائلتي و أخبرهم بأن أي شئ أحتاجه فهو و الشركة على استعداد تام لكل احتياجاتي و متطلباتي أنا و المستشفي كانت هذه المقابلة بيني و بين مديري لم أكن أتوقع منه ذلك ، باختلاف الحديث ، أن أراه وهو يتحدث و تبدو الإبتسامة علي وجه بأنه سعيد بأني عُدت الى الحياة ، إنها مشاعر صادقة ، مشاعر حقيقية ، لم أكن لأعرفها لو لا هذا الحادث .

ثم ...

جاء صديقي صديق الطفولة ، الصديق المقرب لي .

جاء و الدموع تملأ وجهه عندما نظر لي كان يبكي بكاء شديدًا .

عندما رآني إنهار من البكاء وبصوته المزعج العالي الحمدلله ، الحمدلله ، لم أصدق نفسي ، كم أنت كريم يارب.

ثم قُبل رأسي..

و بصوته المنخفض وبهمس في أذني..

"***ليتني كنت أنا و لَسْتُ أنت يا صديقي***"

من هذه اللحظة ، يجب أن نرضي ربنا في كل شيء ، أنت اتكتبلك عمر جديد و الجميع وقف بجانبك و خلفك ، الجميع يحبك ويحترمك ، الحمدلله أنك عُدت لنا الآن ، الحمدلله.

الحقيقة الرابعة

" الإنسان قيمة قبل كل شيء "

و في اليوم التالي صباحاً ....

جاء الطبيب ليطمئن عليَّ و يتابع حالتي الصحية و هل هناك تطور و استقرار

بعد العلاج أم لا .

و بالفعل أخبرني بأن حالتي استقرت بشكل كبير ، و أني سوف أغادر المستشفى ، بعد عمل بعض الفحوصات و الإشاعات للتأكد من حالتى .

كما أخبرته كتابياً كالعادة .. على موعد فك السلك الطبي بـ فكي .

فأخبرني .. في حدود أسبوعين أو أكثر .

و أخبرني .. بأن طبيب العظام سوف يحضر لي للنظر علي قدمي قبل مغادرة المستشفى .

و في الليل وبالطبع تغير طاقم التمريض بالغرفة ، لم يكن ممرض العناية المركزة مرافقا لي في الغرفة ، تحدثت مع الممرضة الجديدة بأني أريد مرآه صغيرة .

ولكنها لم تسألني لماذا ؟

ذهبت .. ثم عادت و معها مرآه صغيرة .

أخذتُ المرآه ... ثم نظرتُ لها

وجدت...

وجهي مشوه تماماً الأمر الذي أحزنني كثيراً

مسكت المرآه و بقبضة يدي الغاضبة كسرتها في يدي ثم ضربتها بقوة الي الأسفل لتسقط على الأرض.

فى وسط ذهول من الممرضة

التي أخبرتني : لم فعلت ذلك ؟

أدي ذلك الي جرح شديد في يدي

تكسرت المراَه ... و أنا تمزقت بداخلي ... وأدركت ... بحجم المُعاناة

التي أعيشها عندما أخرج من المستشفى.

أصعب ما في الحياة عندما تنظر الى المراَه ... تري وجه آخر ... وجه غير وجهك ...

وجه مشوه ... وجه يعاني من شدة الآلام.

تغيرت حالتي الإيجابية ، سيطر الحزن بداخلي ، فهذا وجهي الممزق تماماً المشوه ، أتذكر وأنا شاباً وسيماً أنيق في أواخر العشرينات.

الأمر تغير تماماً و أصبح شديد الصعوبة ، أخذتني الممرضة و ذهبت إلى إجراء بعض الفوحصات والتحاليل والإشاعات ، و أنا خارج من الغرفة رأيت نافذة ، نظرتُ لها ، ثم أخذت طريقي بالمقعد المتحرك.

ثم....

جاءت عائلتي الذين علموا بما حدث بموضوع المراَة و قد أخبروني بأن وجهي الآن أفضل بكثير من قبل ، و أني تحسنت عن قبل بصورة كبيرة ، و سوف يتم التحسن و إذا إحتاج الأمر إلي إجراء جراحة تجميلية لاحقاً سوف نفعل ذلك .

و أخبروني بأني لا أقلق نحو ذلك ، مع العلاج و الراحة سوف تتحسن الأمور بشكل أفضل من ذلك إن شاء الله.

و في نور الفجر وسكوته كنت أنا الحاضر الأصيل الذي لا يمل و لا يكل من كثرة الآلام ،

تتغير لماذا عن لماذا و لا تسأل لماذا ...!! هذه هي الحياة و هذه هي الرسالة .

كنت حاضرًا أمام النافذة القريبة من غرفتي فطلبت من الممرضة ان أذهب إلى تلك النافذة بالمقعد المتحرك .

رأيت نور الحياة ، رأيت الحياة من منطلق شيء ما بداخلي ، هدوء و صمت النسيان ، استمتاع لما هو خالٍ من الضجيج والضوضاء ، راحة مع النفس في سكوت تام ، إعادة الحسابات ، إعادة النظر إلى الحياة بصورتها الطبيعية الأكثر واقعية .

و من نور الصباح !!

نجدد الأمنيات ...

رأيت الطبيب أمامي سألني هل أنت مستعد ؟

لم أعرف ما قصده من ذلك السؤال ولكني أدركت لاحقاً بأنني سوف أقوم بمغادرة المستشفى.

و بالفعل... غادرت المستشفي ،

ولكن هذه الأيام لم تغادر داخلي ظلت محفورة في ذاكرة قلبي ،

عندما تعطيك الحياة فرصة للعيش من جديد ، تجد نفسك مخلوقاً جديداً ، ستشعر بقيمة الحياة و رونقها.

ستأخذ نفساً عميقاً وتنظر إلي السماء و صفائها و إلى الأشجار و سرب الطيور و منظر السحاب لحظة مع النفس فى يقين تام بأهمية و جمال الحياة.

لقد عُدت إلي الحياة من جديد ، عليَّ أن أستمتع بتلك اللحظة وأتذكرها جيداً ، تجد نفسك غريباً على هذا الواقع ، الذي تعيشه مرة أخرى ، ستعيش الواقع مع اختلاف الظروف والأهداف و مع اختلاف المُعاناة .

فإنك قد عُدت إلي الحياة من جديد لقد عُدت بعد عذاب شديد و آلام ، نعم انتهي كل شيء نعم اشتقت إلي حجرتي الصغيرة و اشتقت إلي الأصدقاء ، و اشتقت إلى نفسي كما كانت من قبل ، اشتقت إلي أحلامي و أهدافي التى لو رحلت و لم أعد، كانت رحلت معي.

لحظة مع النفس ، لحظة برضا و عقل وتقبل الأوضاع والرضا بالحال ، لقد عاهدت نفسي بأن أبدأ من جديد ولكن هذه المرة جاءت غير كل المرات ، لابد و أن أدرك هذا ، فأنا لم يتم شفائي بعد ، أنها المرحلة الأولي من العلاج ولكن عليَّ بأن أتقبل الوضع بنفس راضية ، بنفس صادقة فأنا الآن أختلف كثيراً ، رأيت كل شيء من منظور أخر.

منظور...

بأني عُدت إلى الحياة مجدداً و ماذا ؟

و لم أعد ...

لم يتوقف العالم بعد رحيلك ، ستستمر الحياة بشكلها الطبيعي، سوف يحزن عليك البعض ، سينهال بالبكاء عليك و الأحزان لفترة من الوقت .

ولكن هل هذا سوف يوقف الحياة بالطبع لا ، سوف تستمر الحياة ، سوف تستمر الأفراح في المنطلق ، حتي أنت مسألة وقت و تنتهي ، مسألة وقت وسوف ترحل مثل الجميع ، لا شيء باقٍ في هذه الحياة حتي المشاعر و الكلمات مسألة وقت و سوف تتغير بمرور الأيام ، تتغير الحقائق كلما اقتربت من استيعابها ولكن يبقي الموت هو الحقيقة الثابتة التي لا تتغير أبداً ولا مفر منها ، الموت هو نهايتك من العالم و ليس نهاية العالم.

و تذكر ذلك جيداً يجب عليك أن يكون لديك دائماً دور في هذه الحياة و في المجتمع.

الجميع سوف يرحل ولا يتبقي غير الأثر.

و دائماً ... الإنسان قيمة قبل كل شيء .

قدم الخير .. ساعد الغير .. كن أنت نور المدينة ..

و إذا نظرت بداخلك ، تجد بأننا جميعنا نحتاج إلي بعضنا في هذه الحياة ، و إذا بحثت عن الأشياء و الأشخاص الأكثر معاني و ثأثيراً في الحياة ، تجد بأن خلفهم تأتي القيمة ، فإبحث عن القيمة تجد المعاني الحقيقية وراء كل قصة ناجحة جاءت أيام صعبة وقاسية ، خُلقت المعاني فرفعت القيمة.

إنها الأيام و الليالي ، إنها البراهين ، إنها الأحلام الكاذبة الخادعة تسرق كل شيء و تعرفك قيمة وحقيقة ومعادن الأشخاص والأشياء ، تسرق منك كل شيء ، تسرق العمر ، والصحة ، والطفولة و الرفاق تسرق كل شيء.

إنها الأيام الكاشفة للتفاصيل والروايات القادرة علي تحريك كل شيء بداخلك لكي تعد أقوي وأكثر نضجًا من الأمس ، تسير في الطريق علي نحو تجاربك الشخصية ،

الرغبة في الوصول تزيدك معرفة ويقين ، تتعلم الحياة من مدرستها الخاصة ، تأخذ دروس خصوصية ولكنك تدفع ضريبة تعلمك في مدرسة الحياة ، تجد نفسك أصبحت أكبر قيمة وأكثر وضوحًا لنفسك ، تجد نفسك أدركت الحكمة وعندما تدرك الحكمة فأنت قد اجتزت اختبار المرور في الحياة ، و تجد بأن المستحيل استحالة مع إيقاف التنفيذ ، تزيدك الأيام الصعبة ، قوةً ، و صلابةً ، تزيدك الثبات رغم الانهيار و الصفعات .

"إذا أردت أن تعيش حياة هادئة سالمة فارقد في سلام .. و أترك الحياة لمن يريد أن يعيش"

الطريق كان صعباً بالعاصفة

و بالصفعة

الطريق لم يكن سهلاً علي الإطلاق

و لكني ... لكني

هذه المرة

تجاوزته

تخلق فيك الأيام روح القتال والعناد كأنك تقول افعلي ما تشائين فالقضية مازالت قضيتي مازلتُ أتنفس ، مازلتُ أؤمن بأني أستطيع أن أخوض المعارك والتجارب ، أن أتحدي الظروف والمهالك.

مفهوم ومعني الحرية أحيانًا يتغير تشعر بالحرية والراحة النفسية بعد تجاوز العقبات ومتاعب الحياة لتعود إلي روحك وجسدك و أنت خالٍ من أي تعثرات أو آلام لتتأمل روعة وقيمة الحياة والسلام الداخلي الذي بداخلك يجعلك تشعر بأنك حُرً طليقً لم تعد أسيرًا لتلك الضغوطات التي لم تنتهِ طوال ما أنت علي قيد الحياة.

و لكن ... إذا إمتلكت اليقين بداخلك علي تجاوز تلك المتاعب سوف تصبح عادة بينك وبين نفسك بأنك في كل مرة تستطيع أن تعبر طريق الظلمات.

من تذوق الآلام ، أصبح بشهية الأبطال ، يستطيع أن يمر بكل التحديات و العقوبات في الحياة.

- أعرفك و تعرفني ، أشعر بهمسكِ في أذني ، أراك و أنا أنظر إلي المرآه ، أبتسم و أنا أنظر إلي المرآه أبتسم بأعماق يقيني أنت صدي صوت أنت ضميري وقت سكوتي ، أنت صواب أخطائي ، أنت الحكمة وقت أحزاني ، أنت أنا ، كل منّا يعاني ، لسنا اثنين و لكننا واحد.

***

ثم..

بدأت فترة التعافي..

و بالطبع أخذت أجازة مرضي من العمل ، أجازة طويلة لمدة عام قابلة للتجديد ، وبالطبع فترة التعافي من أهم فترات العلاج ، فإنك خاضع للأدوية و العلاج ، لا تفعل شيء سوى الراحة فقط والمتابعة مع الطبيب ، كان أمر السلك الطبي المربوط في فكى أمر شديد الصعوبة ، فأنا لا أتحدث وكنت أتناول الوجبات عن طريق مشروب ، ظل هذا الوضع يلاحقني لعدة أسابيع و لكن سرعان ما ذهبت الي الطبيب ، و قد قام بفك السلك ، ومن هنا ولأول مرة تحدثت ... كان صوتي مبحوح لا يوجد نبرة ، ومع الأدوية والمشروبات الساخنة فقد تحسن الأمر .

و لكني وجدت نفسي في حقيقة الأمر بأني أحببت القراءة والكتابة ، أحببتُ الكتابة جداً في هذه الفترة.

تحسنتُ قليلاً ولكني لم أستطع أن أتحرك من على السرير فأنا قدمي مازالت تؤلمني لا أستطيع أن أتحرك ، و عن حديثي مع طبيب العظام ، فقد أخبرني بأن قدمي سوف تأخذ وقت طويل من أجل أن تلتحم العظام مرة أخري ، و أني سوف أشعر بالمُعاناة لفترة طويلة وهذا طبيعي ، ثم أبدأ مرحلة العلاج الطبيعي ، وقد أخبرني ببعض التمارين أقوم بها ، كما حذرني أشد الحذر بألا أقوم بأي مجهود أو أتحرك أو أقف علي قدمي ، فهذا الأمر خطير جداً في هذه المرحلة الضرورية جداً للعظام من أجل أن تلتحم .

وبالفعل أخذت فترة طويلة من الراحه ومن العلاج لمدة ثلاثة شهور ، ثم بعد ذلك بدأت مرحلة العلاج الطبيعي.

بدأت حالتي تستقر نوعاً ما .. ولكنني لاحظتُ شيئاً...

لاحظتُ بأني تقبلت الوضع ، لاحظتُ أني راضٍ و سعيد ، بالطبع كان الأمر متعب ومؤلم ولكني سعيد راضٍ مقنتع بقضاء الله ، كانت حالتي النفسية قبل الحادث ، محطمًا لاشيء أما أنا الآن بعد أن تحطمت وتمزقت وتشوه وجهي ، أصبحت شخصًا راضيًا ، و شخصًا سعيدًا بالفعل أدركت بأننا عندما نفتقد الرضا و القناعة ، سوف نصبح أشخاصًا محبطين و محطمين من الداخل.

فالرضا و القناعة أهم الأشياء التي يجب عليك أن تتحلي بها طوال حياتك ، فهم دائمأ ميزان السير باتنزان في الحياة ، فأنا علي سبيل المثال من بعد الحادث أفتقدت أشياء كثيرة ، و تشوه وجهي.

ولكني أصبحت أكثر رضًا و سعادة ، ولكن لّيْسَ فقط كل هذا ، كنت مطمئن من داخلي بأن كل هذه الأمور سوف تتحسن وسوف أكون علي قدر كبير من التحدي.

تغيرت نفسيتي أصبحت أقوي ولا شيء يؤثر عليَّ غير الآلام كانت أحياناً تقسو عليَّ بعنف أحياناً كنت أشعر بأني لو كنت رحلت سوف يكون أفضل من أن أتحمل تلك الآلام الصعبة القاسية و لكن هذا ظرف و ماذا تفعل !! يجب عليك أن تتحمله وتتحدي تلك الظروف لتعود كما كنت بل لتعود أقوي و أفضل .

***

الرضا : اطمئنان نفس ساكنة حياة راضية،

سعادة قادمة

هذه هي الحياة مليئة بالاختبارات والنزوات ، يجب علينا أن نجتاز الصعاب ، لنكون أقوي من الأمس ومن غدٍ ولكننا نحن من ندفع ضريبة التعلم من الحياة أحياناً الحياة تعطينا دروسًا مجانية ولكننا نسددها ألمًا وتعبًا وشقاءً ، هذه هي الحياة ، و هذه هي مسيرتي التي لم تكن سهلة يوماً علي الإطلاق .

و في الأوقات الصعبة نجد أوقاتًا جميلة وذكريات لا تُنسي ، وبالفعل كان هناك أحداث لا تُنسي.

أحداث لا أستطيع أن أنساها ، و في الليل... كانوا ... يجتمعون في غرفتي الصغيرة أصدقاء الطفولة الذين لم يتركوني يوماً ، كنا نهرج و نضحك ، و نتذكر الذكريات ، و يخبروني بكل ما حدث و أنا بداخل المستشفي و الغيبوبة ، و كل واحد على حدا ، يخبرني كيف تلقي خبر الحادث والصدمة والبكاء ، وفي وسط كل هذا هناك مواقف مُضحكة حدثت أخبروني عنها بطريقة جعلتني أضحك و أبتسم و أنسي ما بداخلي من الآلام .

أصدقائي ، أكتشفت بأنهم أعظم الأصدقاء التي تجدهم في العمر مرة واحدة فقط.

وأيضاً أقاربي ، و زملاء العمل الذين لم أتوقع منهم يوماً ما بأن يكونوا بجانبي ، كان الأمر سعيدًا من ناحيتي بأن أري هذا الحب والتقدير من الجميع.

اكتشفت أننا رائعون سيئون بالطبع و لكننا إذا نظرنا إلي الجانب المضيء سوف ننير الحياة و العالم و إذا نظرنا إلي الجانب السيء سوف نري الظلام والسواد وبالفعل لا يوجد لغة للكمال في الشخصيات ، جميعنا ناقصوا شيئاً ما ولكننا رائعون في بعض الأشياء ، دعونا نتعامل باللطف من أجل الأشياء الجميلة التي ننظر لها أما الجانب المظلم فكلنا سيئون عندما نركز علي ذلك .

مهما كنت شخصاً قويًا وصلبًا أنت تحتاج أشخاصًا بجانبك ، يساعدونك و يهونون الطريق عليك ، نعم نحن نحب الراحة و الهدوء .

فيجب أن تسود الراحة والهدوء والحب بيننا ، يجب أن نتعامل جميعنا من هذا المردود لكي يسود الحب والمودة و نترك الخلافات والصراعات والمعارك ونركز علي أنفسنا وتطويرها و تنميتها ذاتياً .

ثم ...

بدأت فترة العلاج الطبيعي ، كان الأمر مرهقًا ومتعبًا تماماً ، كنت أقوم بالعلاج الطبيعي علي وجهي و قدمي.

وجهي الذى أصبح وجه مشوه ، وجه مثير للاشمئزاز ، كان هذا الأمر يرهقني تفكيراً وحزناً عميقاً عندما يحدثني الغرباء .

ماذا بوجهك ؟ هل هذا حادث ؟

أم ولدت بهذا ؟

كان الجميع وكأنهم يتفقون علي تدميري نفسياً بهذه الأسئلة .

و لكني ....

ذهبت إلي الطبيب ....

وتحدثت معه عن هذه الانتقادات التي دوماً تصيبني بالحزن والبكاء ليلاً عندما أنظر إلي المرآة وأنظر إلي صوري القديمة و أري الوسامة تبدو عليَّ ، أصبحت شخصًا مشوهًا من الخارج والداخل من كثرة الانتقادات التي تعرضت لها.

تحدث معى الطبيب ***قائلاً***:

أنت كنت تحارب لوحدك في معركة لا أحد يعلم عنها شيء ..

فلا داعي أن تتأثر من تلك الانتقادات السلبية مثلما هناك أشخاص في حياتك داعمون هناك أشخاص تجدهم مُحبطين نحن لّيْسَ شبه بعض هناك من يفهم و هناك من لا يفهم،

أنت بطل ... و هذه آثار الحرب ...

وسوف تتغير الأمور وتتحسن مع العلاج وبالفعل أنت أصبحت أفضل من آخر مرة

رأيتك فيها ..

لا داعي بأ ن تحزن من هذه الانتقادات بل بالعكس يجب أن تكون دافعًا قويًا لك من أجل أن تكمل العلاج و تصبح أفضل .

كان حديثي مع الطبيب حديث رائعًا ....

فأنا أحب الحديث معه دائماً بالإضافة أنه طبيب ممتاز و ناجح ، ولكنه معالج ممتاز، تتحسن نفسيتي كلما تحدثت معه ، وكأنه مَر بنفس الظروف ، في كل مرة يخبرني بأن هذا عادي ، الألم شيء طبيعي فأنت خارج من حادث جسيم و لّيْسَ حادث لَيناً ، أنت دخلت غيبوبة وفقدت التنفس ، كل هذا طبيعي ، و عن وجهك تمزق طبيعي من أثر زجاج السيارة و أصبح مشوه لأن حدث قطع في العصب السابع أدي لتشويه الوجه ومع العلاج الطبيعي سوف تتحسن الأمور بشكل طبيعي ومن الممكن ألا يكون مثل الماضي وهذا أمر ممكن حدوثه بنسبة طبيعية ولكن سوف تتحسن الأمور .

لا تستعجل العلاج ، ولا تستعجل الأمور ، فقد اجتزنا كثيرًا من الصعوبات وتبقي القليل لا تقلق سوف تتحسن الأمور ، وستظل في الذاكرة هذه الأيام وسوف تحكي عنها للأجيال القادمة

فأنت من عاش الموت و رآه ، و أنت من ذهب ثم عاد وهذا لّيْسَ طبيعيًا أو عاديًا و لكنه استثنائي.

نعم كان أمرًا استثنائيًا كان أمرًا غير عادي ، لم أكن أتوقع يوماً ما بأن هذا سوف يحدث ، لم أكن أتوقع كل هذه الآلام ، كانت حياتي خالية ، كنت أعيش و أتمني حياة ناجحة بدون ألم و عناء.

تغيرت كثيراً عن الماضي أصبحت شخصًا آخرًا ، شخصًا يعلم جيداً ، شخصًا رغم الصعوبات لكنه يتمسك بالأمل رغم المُعاناة يتمسك بالصبر ، نعم أصبحتُ راضيًا أصبحت أبتسم في وجوه الناس ، تغيرت لم أعد كما كنت أصبحت قوياً أصبحتُ شخصًا يشعر شخص يحس الآلام.

فأنا من تذوقتها أنا من شعرت بها ، أنا من عاش الموت و عاش الحياة .

أنظر لعيون الناس ، وهم يتجولون في الشوارع ، أعرف حقيقة الأمر أعرف حقيقة الحياة ، ولكن يجب أن أتمسك و أصبر و أن أتذكر كل يوم ، و أنا أكتب في مذكراتي كل ليل ، كيف كان الأمل بداية الطريق كان غير مبشر كيف عاد الأمل بداخلي بعد أن تمزق كل شيء أمامي بالمرآه.

كيف أصبحت إنساناً راضيًا ، وسعيدًا و صابرًا بهذه الحياة و أنا مريض لا يستطيع أن يقف على قدميه و هو يبتسم للناس يبتسم لحياة تمزق فيها كل شيء بداخله .

***

كن صبورًا مهما كان الأمر شاقاً في روحك لا

يشعّ إلا النور

مرحلة التعافي..

فبعد أن إطمئن عليك الجميع وبعد أن قام الجميع بزيارتك ، أصبحتُ وحيداً أتعافي بنفسي ولنفسي و ماذا ... عن قلبك ؟

قلبي ... مازال ينبض سراً متأثراً

أتتذكرها ...

نعم أتذكرها فهي بداخلي ...

لا أريد أن أرها ... فأنا أصبحت مشوه الوجه أصبحت شخصًا آخرًا .

لا أريد هذه المقابلة ...

تحدثتما بعد الحادث ؟

نعم تحدثنا بعد الحادث ...

تلفونياً فقط ... كانت تريد أن تزورني و لكني ...

رفضت ... رفضت لماذا ؟

لّيْسَ بسبب أني حزين على نفسي ولكن لأسباب أخري

و أولها بأن هذا الموضوع قد قفل تماماً .

و لا داعي لنجعل الأمور تشكل حزناً عندما نتقابل.

فأنا الآن كل تركيزي بأن أتعافى ...

من أجلي و لأجل عائلتي ...

نعم مازالت عالقة في قلبي ولكن مثل السكون ...

عالقة بجوار الذكريات في دائرة الحنين لماضي كان ...

لم أعد مثل زمان فأنا من غاب لسنوات ...

تغيرت أصبحت أكثر عقلاً و نُضجاً ...

ولا أريد شيئاً الآن ...

و الأهم أن أبقي بخير و سلام ...

اشتقت لزمان ؟

زمان..! وكأن قلبي كان ... مخلوقًا لكي يعيش على أيام زمان ، بالطبع كانت هناك أيام جميلة بيننا كان الحب حقيقياً ... و لكن الحب لا يكفي ...

كان الحنين للماضي ، وحديثي لنفسي بداخلي ، يحدثني كل ليلة، كان الفراغ سيد الحدود ، أكتب ... و أذهب بعيداً ... خارج الأضواء ... لأهرب مما كان .

و لكنني ...

اكتشفت بأن الجميع بداخله قصة حزينة ، قصة قصيرة عندما يتذكرها سوف يغلق الصفحات و يسرح طويلاً في ماضٍ كان .

و أنا هكذا ... أتذكرها بين الحين و الآخر.

***

سيظلُ الصواب صوابًا رغم الألم والصعوبات

أحياناً مضطرون إلي الرحيل الذي لم نتمناه يوماً ما حتي لو جاء هذا القرار من بوابة العقل فأنت ترحل و تترك قلبك أسير لتلك الأيام و الذكريات.

أحياناً الحياة تفرض علينا الدخول الي طريق الظلمات ، لننبهر من طريق النور و إذا صمت ونظرت قليلاً تجد بأن هذا قدرك في كل شيء كي تتعلم و تدرك أمورًا كثيرة في الحياة .

للحياة فلسفة وحكمة ... و لكل شيء حدث له أسبابه وأبعاده ، لكل شيء يحدث له يقين و مغزي ، ونحن نعيش من أجل أن نفهم الأسباب تمزقنا ... ثم ترضينا ... تغيرنا

ثم تبقينا حالمين ، فلكل مرحلة حلم و لكل وقت أهداف و طموح .

فأنا ..... الآن

لّيْسَ لدي هدف أو طموح غير أن أتعافي و أبدء أن أسير علي قدمي من جديد بدون مسند يساندني.

أيقنت بعمق كلماتي و النظر للمعاني الحقيقية أدركت بأن الحياة الاعتيادية هبة من عند الله لا نعرف قيمتها الحقيقية إلا عندما نفتقدها ، أن تستيقظ فى الصباح لكي تذهب إلي العمل فهذه نعمة كبيرة لا نشعر بها بالرغم من عناء العمل ، و لكن هناك مناظير ومعايير مختلفة لم تكن في حساباتنا يوماً ما ، أن تسير وحيداً بدون عكاز يرافقك وبدون شخص يساندك ، أن تذهب إلي المرحاض بدون وسائل مساعدة ، بدون أن تشعر بأنك أصبحت عاجزاً و أصبحتُ عِبئاً على كل من حولك .

يأتيك شعور الهزيمة عندما تريد أن تقوم بشيء ولا يوجد أحد ليساعدك .

تشعر بالخذلان وأحيانا تشعر بخيبة الأمل لا أريد أن أشقي أحد معي فالجميع لديه متاعب أخري في الحياة .

بدأ الخذلان ينتشر بداخلي ، فأنا حقاً مُمتن للجميع ، أنا مدين بعمر بأكمله لكم جميعاً فأنتم وبدنوكم لم أكن ولم أستطع.

هناك حقائق في الحياة نعلمها مؤخراً بعد تذوق مرارة الأيام فالصحة والعمل والأقارب والأهل والأصدقاء عملة ثمينة قيمة يجب الاحتفاظ و الاعتناء بها لمن لا يعرف جوهرها في أيام النعمة يعرفها في أيام الحسرة.

أصبحت قدمي ثابتة أمامي ... و أمام طريقي للعودة الى حياتي الطبيعية من جديد ،

فقد قاومت كل شيء لقد تغلبت على ما كان يراودني عن تلك الأحاسيس التى كانت توقفني عن تلك الكلمات السامة عن تلك النظرات.

أريد العودة و لكن قدمي أصبحت عاجزة لا أستطيع السير ، أستطيع الوقوف فقط ، و لكن إذا اختل توازني أسقط على الأرض و كأني استهدفت من العدو .

باتّ الأمر معي لعدة سنوات ، قدمي تتحسن ببطئ و أصبح شعور الملل يسيطر عليَّ.

ذهبت إلى طبيب العظام أكثر من مرة و في كل مرة يحدثني ***قائلاً..***

العملية الجراحية نجحت بشكل ممتاز

العظام التحمت ... ولا يوجد شك في ذلك.

و كما أنت أخبرتني بأنك قد انتهيت من برنامج العلاج الطبيعي.

فماذا يجب عليَّ أن أفعله ؟

قدمك أصبحت هشة ضعيفة غير مُستجيبة

و أحذرك من جديد أي حركة سلبية قد تؤثر بالسلب علي العملية.

فلابد أن نتحلي بالصبر يا عزيزي ....

و سوف أجدد لك الأجازة المرضية لمدة ستة شهور.

لمدة ستة شهور ؟؟

نعم لمدة ستة شهور ، قدمك ضعيفة جداً و من الصعب أن تتحسن بسهولة و من الممكن ألاّ تتحسن أبداً ، حينئذٍ ... سيصبح قدرك و مجبر أن تعيش مع الأمر طول حياتك أنه حادث جسيم يا عزيزى

أدركت كلامه ... و أنا حزين للغاية

و كانت آخر كلماتي مع الطبيب

من الممكن ألاّ أستطيع السير مرة أخرى ؟

أجاب الطبيب بنظرة مليئة بالحسرة و الأسف.

نعم ... من الممكن ألاّ تستطيع السير مرة أخري.

و ماذا يجب عليَّ أن أفعله الآن ؟

الطبيب ؛ .... الآن !!

تمارين رياضية فقط من أجل تقوية العضلات

و لكن ... تذكر كلامي جيداً أي حركة سلبية سوف نرجع إلي نقطة الصفر من جديد ، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

كان كلام الطبيب .. قاسيًا جداً عليَّ ، لم أكن أعلم بخطورة وصعوبة الأمر .. أريد أن أعيش حياة طبيعية بدون مساعدة ، أريد أن أقف علي قدمي و أسير من جديد .

راودني إحساس الحسرة فترة طويلة من الوقت ولكن سرعان ما أدركت بأني يجب عليَّ أن أقف في مكاني و أفكر بعقلية إيجابية في أن أتخطي ذلك ، و بحذر كما أخبرني الطبيب.

بدأت أبحث عن أماكن تدريب أو تأهيل بدني لتساعدني علي تحسين قدمي و تقوية العضلات ، و بالفعل كان الجميع يساعدني في ذلك ، الكل يبحث عن متخصصين إصابات وتأهيل بدني ، لبداية العمل علي تحسين قدمي و تقوية العضلات .

وبالفعل ذهبتُ إلى متخصصين في الإعداد البدني و التأهيل البدني .

و بالفعل بدأت معهم .

و لكن ...

بعد الانتهاء من التمرين و الذهاب إلي البيت أشعر بألم لا يمكنني أن أتحمله ألم صعب شديد جعلني أبكي و أصرخ من قوته ، لا أستطيع أن أتحمله و علي الفور تحدثت مع المدرب وأخبرته بما حدث !

تحدث معي بسخرية ...

نحن لم نفعل شيء هذه تمارين بسيطة بأثقال خفيفة !!

لا أعلم لماذا كل هذا الألم ...

ثم أخبرني من الضروري أن تذهب للطبيب لتخبره بذلك.

مما اضطرنى إلى الذهاب للطبيب مرة أخري ، فأنا في حقيقة الأمر كان هذا الطبيب ثقيلاً على قلبي مقارنة بطبيب المستشفي الذى في اعتقادي لم أرَ طبيبًا مثله فهو كان معالجًا ممتازًا .

أما بالنسبة لطبيب العظام فهو لّيْسَ مثل طبيب المستشفي و للأسف الشديد لم تذهب الآلام بعد هذه الحصة التدريبية ، مما أضطرنى الي الذهاب الي الطبيب مرة أخري.

و عندما ذهبت إلى الطبيب وتحدثت معه...

تحدث معي ***قائلاً***..

أستاذي المحترم أنا طبيب و لّيْسَ مدربًا أو مُعِدًا بدني أنا لا أفهم في هذه الأمور ، أنا طبيب وقد قُمت بعملي على أكمل وجه.

حقيقي أريد أن أساعدك ...

و لكن لا يوجد لدي شيء أقدمه لك

غير أن أكتب لك بعض المسكنات

غير ذلك لّيْسَ لدي شيء أقدمه لك

و تذكر قولي بأن الموضوع صعب لّيْسَ سهلاً

و أنت مُتعجل... وفي هذه الأمور لا نفضل العجلة

كان كلام الطبيب بالنسبة لي رصاصة الرحمة

فقد انتهى كل الأمل بالنسبة لي و أصبحت أتناول المسكنات أكثر من تناول الوجبات .

لا شيء جديد أتألم ولا أحد يستطيع أن يساعدني و كنت مُضطرًا و للأسف أنا أذهب إلى المدرب مرة أخري و أخبره بحديثى مع الطبيب.

المدرب ...

تمام نحن نتمرن علي هذا المنوال لا جديد يُذكر.

و بالفعل تمرنت مع المدرب نفس التمارين البسيطة كما قال ، و بأوزان خفيفة كما عزم .

و بعد الرجوع إلي المنزل .. أتألم من جديد و أصرخ بشدة و أتألم .. أتناول المسكنات كأني أتعاطي خيبات من الأمل و للأسف المسكنات لا تسعفني .

أصبح الأمر شديد الصعوبة .. حينها أدركتُ بأني لا أستطيع أن أسير علي قدمي من جديد.

أدركتُ حينها بأن كلام الطبيب ربما يكون صحيحًا و أني لن أستطيع السير مرة أخري.

ثم...

مرت ستة شهور والحال كما هو الحال ، كان يجب عليَّ أن أذهب الى الطبيب لكي أجدد الأجازة أو إذا كان له رأيٌ آخر يضيفه.

ذهبت الي الطبيب ...

الطبيب: أزيك أخبارك أيه في تحسن ؟؟

كان ردى بعد الإستسلام

أشعر بتعب شديد من التمارين ، الموضوع صعب.

الطبيب: أفهم من هذا أن كلامي صحيح !

الموضوع صعب و بنسبة كبيرة لا تستطيع السير مرة أخري ، هذه أقدار يا أستاذي وربنا قادر علي كل شيء.

أتفضل أنا جددت لك الأجازة لمدة ستة شهور قادمة

ستة شهور مرة أخري ...

نعم .... في انتظارك بعد ستة شهور

اتفضل ...

خرجت من عند الطبيب و معي أبي ، ركبت السيارة و في يدي العكاز الطبى نظرت الى الحياة من نافذة السؤال ... لماذا ؟ لا تحبيني و أنا لم أفعل لك شيئًا ! لماذا ؟ حدث كل هذا ؟!

هل أصبحتُ عاجزاً ؟

و كيف أعيش و أنا من تمسك بالأمل على حافة الطريق ، كيف أخبر باقي عائلتي بحديثي مع الطبيب .

ستة شهور مرة أخري أجلس في البيت وحيداً أجدد فقط المُعاناة ولا شئ جديد .

سيطر اليأس على أحلامي ، بدأتُ أشعر بالحزن الذي عاد مجدداً بعدما تركته و تشبثت بالأمل و عن الحصة التدريبية ، لا أستطيع الذهاب فأنا لا أتحمل الألم.

تحدثت مع الاصدقاء في تلك الأمور ، و تحدثت مع صديق الطفولة الوحيد المقرب لي، الذي أخبرني بأني أغير مكان الإعداد البدني و أذهب الى مكان أخر .

و بالفعل ذهبت إلى صالة الألعاب الرياضية في قمة الفخامة وذهبت إلي مدرب معروف بالاسم الجميع كان يخبرني بأنه أحد أكبر الأسماء في مجال كمال الاجسام .

أخبرته عن الحادث و عن حالتي الصحية ولكنه...

كان لا يهتم ، فالفتيات بجواره يتحدث معهم بابتسامات عريضة و ابتسامات متنوعة منبهرين بهذا المدرب العملاق الخارق .

و لكني أراه صغيرًا أمامي فأنا شخص عاجز بيدي العكاز ولا أستطيع أن أقف مدة طويلة و كأنه لم يراني ثم نظر لى و شاور لي علي جهاز أمامي علي أني أقوم بالتمرين عليه.

و بالفعل قمت بالتمرين علي هذا الجهاز ولكني لاحظت قدمي ترتعش كثيراً و تؤلمني كثيراً وبصوت عالي أتألم قد لاحظ ذلك المدرب ، الذي كان في وسط الفتيات يهرج و يمزح

ثم حضر لي و قد أخبرني بضرورة الرجوع الي الطبيب أولاً ثم العودة الى التمرين مرة أخري .

فى وسط الآلام كان الأمر مضحك بالنسبة لي .

لا أحد يعرف ماذا حل بقدمي !! لا أحد يستطيع أن يشخص قدمي ويضع لها برنامج تدريب

ما هذا الهراء والعبث إنها تخاريف غير مسبوقة و ليس لها أي صحة .

***

"عبثية القدر و السؤال"

في وسط العبثية التي رأيتها وأيقنتها بداخلي ، كنت أثق في نفسي و في قدراتي وكأني كنت أملك المفتاح ولكني لا أدري .

سألت نفسي هل أنا أستطيع أن أسير مرة أخري ؟

لم أجد الإجابة بداخلي في هذا الوقت !

و لكن لم أجد أحد يساعدني فكيف أفعل وقتها ؟

أذهب الي هذا المدرب العملاق الذي لا يعرف شيء عن التدريب سوى الاهتمام بالفتيات والجلوس معهن؟

أما أذهب الي الطبيب وأخبره بما أشعر به حينها أعتقد بأنه سوف يكتب لى أجازة مرضي مدي الحياة .

كان هناك في وسط هذا العبث كان هناك هدفًا واضحًا وهو البحث عن طريق نجاة آخر ،

كان هناك شعور بداخلي أن هناك حل و أنا لا أعرفه .

وبالفعل ...

بدأت البحث في هذا الأمر ...

وبالفعل وجدت طريق أخر ...

و كان الغرب قد سبقونا كالعادة في ذلك السباق و هو بمنتهي البساطة إن قدمي ضعيفة هشة لا أستطيع الوقوف عليها ولا أجد الحلول ولكن ...

الغرب يستخدمون تمارين فيزيائية مصممة لتحسين صحة وتقوية العضلات تتمكن ببساطة من إنقباض العضلات و انبساطها و هذه التمارين تعرف مؤخراً بتمارين المقاومة و بالإضافة لتمارين أخري تمارين تسمي بتمارين التحمل بالفعل أعجبني الأمر كثيراً.

بدأت أشتري بعض الأشرطة المطاطية لربطها في قدمي و أبدء فى عمل بعض التمارين التي رأيتها علي صفحات الويب المتخصصة في ذلك .

بدأت التمارين ...

وبعد الإنتهاء ... كانت المفاجأة

أني لا أشعر بألم ... لا يوجد ألم

ما هذا !!

هل نجح الأمر أم أريد المزيد !!

بالفعل بدأت أتمرن بصورة يومية علي تمارين المقاومة بالاضافة إلي تمارين التحمل كان جسمي يعرق كثيراً و أتنفس بسرعة عالية وبالطبع لم أكن متعوداً علي ذلك .

أحببت تلك التمارين فهي تحفزني وتحسن من حالتي المزاجية ، وبالطبع زاد وزن جسمي من الجلوس في المنزل و الراحة علي السرير .

و بالفعل بدأت أتحسن بدأت أنهض من أحلامى اليائسة ، أتمرن يومياً و أبحث و أشاهد تمارين أخري لكي أفعلها لتقوية عضلات قدمي وعضلات الفخذ بصورة أدق .

و بالفعل ... أتحسن يوما بعد يوم

أشعر بقوة بداخلي ... قوة أمتلاك للعالم البائس الحزين

و مع تعودى علي التمارين الرياضية في المنزل بدأت أفعل تمارين أخري مثل تمارين الضغط بأنواعه ، كان تحديًا ممتعًا بالنسبة لي ...

و في الليل جاء صديق الطفولة ، وأخبرته بذلك ، كان سعيدًا جداً و هو يري الحماس في عيناي.

ثم أخبرني ...

ما رأيك بأن نذهب لكي نتجول في هذا الليل الهادئ ، و أنا معاك لا تقلق .

و بالفعل أخبرت عائلتي الذين حذروا صديقي بأن إذا تركني لوحدي سوف أسقط أرضاً .

بدأنا نسير معاً و هو كان يساندني و لكنه كان يعرف ويشعر ما أريد أن أفعله و بالفعل تركني ثم بدأت أسير لوحدي دون الآلام و بكل إتزان ، لقد تحسنت قدمي و أصبحت عضلاتي قادرة علي السير و ذلك في وسط زهول و صفاق حاد منه على ما فعلته.

كانت تلك الليلة أعظم الليالي وقفت علي قدمي من جديد بعد سنوات من العلاج و اليأس .

أنا اليوم أصبحت شخص عادي شخص لّيْسَ عاجز شخص لّيْسَ يأس شخص تشبث في الامل و حارب الظروف و الطرق شخص أمتنع أن يتيبس اليأس بداخله و فعل المستحيل من أجل المستحيل إنها الإرادة يا سادة تصنع المستحيل و تمحو الأعذار ؟ أفعل كل شيء لأجل نفسك حتي ... لو ذهبت الي عالم آخر!!

هذه كانت الظروف وهكذا كنت أنا.

حسناً قد مر ستة شهور و يجب على أن أذهب الي الطبيب لكي ؟

سوف نري ...؟

مرفوع الرأس شامخ الجلوس ...

الطبيب: أخبارك أيه ، طمني عليك هل يوجد شيء ما يؤلمك ؟

في الحقيقي ... قطع حديثي فجأة ***قائلاً..***

عارف لم يتحسن الأمر بعد ...!

سوف نقوم بتجديد الأجازة لمدة ستة شهور

أنا فى الحقيقي ... كنت أخبرك بشيء آخر ...

ثم ... وقفت علي قدمي أصبحتُ أتحرك و أسير يمين و يسار بدون عكاز يساندني ...

الطبيب: رائع ألف مبروك

أنا: الله يبارك فيك

أنا بشكر حضرتك علي ما فعلته من أجلي

و لكن كنت أحب أن أقول لك بأنك لم تساعدني للنهاية ولم تعطيني النصيحة و الإرشاد ، فأنا كنت أعاني من ألم شديد ، ولم يساعدني أحد ، و لّيْسَ أنت فقط

المدربين أيضاً ، لم يساعدني أحد قط ، كنت أحارب و أصارع وحيداً على قدم وساق .

ابتسم الطبيب في لحظة ذهول و قام بهز رأسه

أخذ ورقة الأجازة و مزقها

ثم حدثني ***قائلاً..***

في أي خدمات أقدر أقوم بها ؟

حضرتك تقدر تعيش حياتك الطبيعية من جديد

حمدلله على السلامة

ثم نظر إلي الحاسوب .

أدركت بأن كلامي كان قاسياً ... ويجب عليَّ القيام و الذهاب .

و لكن في الحقيقة هو من كان قاسياً عليَّ ، لم يساعدني لم يرشدني إلى الصواب ، و لكن هذه مدرسته و هذا أسلوبه !

خرجت من العيادة..

و أخذت أتجول في الطريق ، أتذكر طبيب المستشفي و الممرض و ما فعلاه معي و أنقذا حياتي.

أدركت في هذه اللحظة بأن البشر أنواع و من المفترض ألاّ ألوم أحدًا علي تقصيره معي،

فهذه طبيعته و شخصيته و طريقته الخاصة الغير قابلة للاعتراض أو الجدل أو النقد ، أما من قام بدوره علي أكمل وجه يستحق أن تشكره من أعماق قلبك .

***

"مراسم الوداع"

و كأن الوقت قد توقف فجأة و ذهب العقل ليبحث عن أقرب

إشارة

إنها مرحلة الذهول والصدمة لفراق الأحبة

مرت الأيام .. مرت السنين .. عُدت إلي الحياة

عُدت إلي العمل بعد ثلاث سنوات من التعب و الألم

مازلتُ حياً و لكن تمزق شيء ما بداخلي

نحن لا تقتلنا الأيام و لكننا أفتقدنا لشغف الرحلة ، أفتقدنا لشيء ما بداخلنا جعلنا لا نبالي ، ولا نهتم بالتفاصيل .

تلك النظرات التي ننظر بها إلي العالم لَيسَت من فراغ ، و لكنها جاءت من خلف النوافذ ، من خلف الكواليس لتعيش حياتك في صمت تام .

أصبح عقلي و قلبي .. مُتعلقاً بالصلاة و القرب من الله و الدعاء ، بالإضافة إلي التمارين الرياضية التي من أهم الأسباب التى جعلتنى أقف علي قدمي من جديد .

أصبحت عادة محببة لي جعلتني أكثر صلابة و ثقة بالنفس .

أصبحت زاهد القلب والحواس ، لا شيء يبقي ، لا شيء محال كل شيء يتغير في كل الأحوال إنما يجب أن تدرك النعم قبل الزوال .

***

أدركت فى حقيقة الأمر ماذا يعني أن تنعم بنعم كثيرة مثل الصحة والأهل والأقارب والأصدقاء والعمل .

كل هذه نعم و يجب أن نعرف قيمتها والاحتفاظ و العناية بها .

يجب أن تتمتع بالإنسانية و المعاملة الكريمة والمساعدة والقول الحسن في تعاملاتنا اليومية مع الآخرين .

الرضا والصبر والقناعة من الركائز الأساسية لحياة هادئة ، لحياة مستقرة و سعيدة و سالمة لحياة راضية .

تقبل الذات والعمل علي تطويرها وتحسين الإيجابية وعدم الانغماس في الاعتقادات والمقارنات الوهمية ، فالجميع لديهم حياة غير حياتك وظروف ومصاعب وقدرات مختلفة علي تحمُل المُعاناة.

الجميع بداخله...

حياة و قصة مختلفة بها مزايا و بها نواقص لا شيء يكتمل ، و لا شيء قابل للكمال ، إنها حياة

و أرزاق موزعة من السماء .

و من نور الصباح ...

نجدد الأمنيات ...

عُدت إلي العمل ، كان الجميع سعيدًا ، بالأخص مديري و فريق العمل ، بجانب الكثير من العملاء .

و بكل التأكيد ، نعم اختلف النظر و اتضحت الرؤية .

أصبحت أكثر أستيعابًا و أكثر فهمًا للكثير من أمور الحياة فالأمور دائماً تبقي مثلما تراها لا تتغير و أنت أيضاً لا تتغير من أجل شيء و لكن المعرفة و الفهم و الاستيعاب و تري الحقيقة من جميع الجوانب و لّيْسَ من جانب واحد .

الجميع في العمل لّيْسَ شبهك و لكنهم يحبونك و يحترمونك و لم يتركوك في أصعب الظروف و هذا يكفي لي و هذا يجبرني علي التعامل مع الحقيقة الجوهرية للشيء قبل أي شيء .

إذا نظرت للحقيقة فلابد أن تنظر لها من كل النواحي ..!

بدأ شعور الهدوء يزين مخيلتي و الرزينة تسيطر على أركان تفكيري و الرضا بالتعافي .

تَغيرت أفكاري و نظراتي و حساباتي.

أصبحت اكثر استيعابًا و أكثر وضوحًا مع نفسي امتلكت إحساس القوة بداخلي ، قوة التجاوز و التحمل .

كنت أشعر بالفخر و الهيبة ، عندما يلقبوني ... بالبطل

الذي عاد من الموت الى الحياة مرة أخري ...

الذي ذهب ثم عاد ...

تغير شكلي بعد الحادث ، لم آعد شاباً وسيماً ذو الملامح العشرينية

أصبحت شاباً في بداية الثلاثين جاء من بعد الرحيل ... شاباً ذو ملامح شبابية رجولية باللحية السوداء الثقيلة المرصعة بالخطوط البيضاء أصبحت اللحية ترسم وجهي فهي تخفي ما تبقي من آثار الحادث ،

لم أستغنَ عنها بعد الحادث .. تريحني تماماً كما تريح وجهي الذي كان ممزق تماماً.

بدأت الحياة تأخذ مسارها بشكل الطبيعى ، تحسنت حالتي الصحية تدريجياً بفضل الله، أتابع مع الأطباء بين الحين و الآخر .

و لكن ...

كان لأغسطس في هذا العام رأي آخر و صفعة

من نوع آخر.

البداية ...

كنت في العمل و علي عكس العادة، كان اليوم هادئًا نسبياً ، والجميع يعمل في هدوء و صمت و أنا كنت جالس مع مديري كنا نتحدث سوياً في أمور الحياة ، حيث هو يعاني من المصاريف الشخصية الخاصة بعائلته الصغيرة و الأطفال ، و المسؤوليات التي أصبحت عبئاً علي كل من تزوج في ظلّ هذه الظروف .

تفاجأت باتصالات عديدة من أصدقائي لم أستطع الرد أو مقاطعة الحديث مع مديري ، الذي بلغني بضرورة الرد علي الهاتف ، و الذي تعجب هو أيضاً من كثرة الاتصالات

و سألني ... هل حدث شيء ما ؟

و بلغني بضرورة الرد علي الهاتف

تحدثت مع أحد أصدقائى وكان يبكي بحسرة و أنا لم أستطع تهدئته.

فهذا الصديق دائماً يخبرني بالأخبار الصادمة ، فأنا كنت أدرك بأن هذا الاتصال غير عادي

تركته يبكي ثم تحدثت معه ... ماذا حدث ؟ و الدموع محبوسة في عيني لحين معرفة الأمر

ثم حدثني و أخبرني..

البقاء لله إنا لله و إنا إليه راجعون..

فقد توفي صديقي ، صديق الطفولة ، الصديق الأقرب لي..

توفي عن عمر يناهز 30 عامًا .

لم أكن أصدق هذا الخبر

هل هذا حقيقي ؟ أم دعابة ؟

أبكي بحرارة الصدمة و الكارثة غير المتوقعة بصوت يسبق الحسرة و تقطع الكلمات و الأنفاس نعم هذا مزاح ... هذا مزاح .

أخبرني بأنك تداعبني .. !!

سكت صديقي المتحدث لي ثم علق في سكوت كالسكون

قائلاً لا إله إلا الله .

ادعوا له بالرحمة و المغفرة

ثم سألته و البكاء و الدموع تسابقني كأمواج البحر الحزين ماذا حدث ؟؟

هبوط حاد في الدورة الدموية ، أثناء قيامه بالعمل .

جاءت الصدمة لتعطيني معزوفة مدوية من الحسرة و الألم و شطراً طويلاً بالذكريات

و أيام العمر .

كان هذا الخبر بمثابة الرصاصة الصامتة القاضية ، جاءت في الصميم لتمزقني من الداخل و أنا في أشدُ الاحتياج لصديقي ، أتألم لفراقه

و كيف أكون في الوداع ؟

و كيف أكون في الغياب ؟

و هو من وقف بجانبي في أصعب الأوقات و أشد الأوجاع ،

لم أصدق باتَ الأمر كالصاعقة عليَّ و على الجميع .

قد تذهب المشاعر و تنجو الكلمات و يأتي ظلام الليل الداكن ليسيطر علي كل شيء،

إنها صرخة القدر وعزف المكتوب

لم يكن معقولًا .

لم يكن معلومًا .

تجمع الأصدقاء من كل مكان و الكل شارك في الجنازة و العزاء ، سيطرت الصدمة والحسرة والبكاء علي الأجواء ، رحيله كان صعبًا على الجميع صديق و أخ لن تنساه الأيام .

***

وداعاً يا صديقي

كنت أخ ولده الزمان ...

كنت صناعة فاخرة من ألأيام ...

لم تسقط من نظري أبداً بالعكس أنت الوحيد الذي رأيته في أعلي مقام ...

في الإفراح و الأحزان كنت معي و بجواري كنت عكازي في الآلام .

أتذكر همسك في أذني ، أسمعه الآن ...

و أنا أرددها الأن ...

ليتني أنا و لَستَ أنت يا صديقي .

وداعاً يا صديقي .

أكتب عنك لأنك جدير .

أثبت معدنك في وقت الضيق .

كنت ونعم الأخ و الرفيق .

كنت خير مستمع وخير جليس.

كنت تستحق الأفضل والكثير .

كنت من يشاركني في حزني و همي .

كنت أنت النور في ظلامي .

كنت نقياً القلب وخفيف الروح .

كنت من يشاركني في الآلام.

كنت الوفي و كاتم الأسرار.

رحلت و رحل معكَ كل شيء .

ذهبت وتركت القلب يعيش علي ذكراك .

كانت رحلتنا عظيمة معاً يا صديقي و لكنها انتهت بفراقك .

ولكنها ستظل دوماً مستمرة بداخلي .

سوف أظل أكتب عنك ، لقد منحتني أمل و عودة للحياة و بعد ذلك رحلت أنت .

إطمأن قلبك عليَّ ثم رحلت .

لن أنساك طوال حياتي كنت أعظم أخ .

أنا اليوم واقف علي قدمي جئت من الموت لأودعك .

لكي أقف في عزاك .

يأتي الوداع ليعلمنا دروسًا كثيرة في الحياة ، فدائماً تستمر الحياة برغم الفراق ولكن هناك سطور نتوقف عندها كثيراً وأشخاصاً أعطونا قيمة للحياة.

علمتني الحياة بأني حتى الآن لم أتعلم شيئاً

عاشت الأيام و رحلتُ حينها لم أدرك شيئًا

شابَ عمري

و أنا في الثلاثين

عن ما مضى..

لا أجد كلمات توصف ما بداخلي.

لقد مر الوقت أصبحت وحيداً.

متعلقاً في دائرة النسيان .

أصبحت غريباً في هذه الأوجاع .

أخشي القول و أخشي الحب .

لم أشعر يوماً بأمان .

الليلة مازالت الليلة .

ذهبت البارحة و لكني أصبحت غريبًا .

عادت الشمس تنير .

و لكن باتَ قلَمي في الظلام حزينًا .

كيف أكون شخصًا بائسًا .

و أنا ثري الروح .

كيف أكون شخصًا محطمًا .

و أنا من حطم كل شيء بصبر وبقوة .

كالصفعة .

غريبة يا أيتها الحياة تأخذين أغلى الرفاق و تتركينا .

نعيش في صمت علي ضوء الذكريات .

لا أصبحنا كما كنا ولا أصبحنا كما نريد .

تجاوزنا كل شيء .

هل هناك مزيد ؟

تشبثنا بالأمل و لكنه لم يكن سعيدًا .

تركنا الماضي فتركَنا الحاضر .

جاء الغد بثماره العنيد .

ثقل الحمل كثيرًا .

فهل تعوضينا ؟

ولكننا لم نكن حالمين .

نريد الراحة و الرضا فقط .

لا نريد أي شيء .

أدركنا المواقف .

ولم نتدارك الأحداث .

ظلت بداخنا من أجل الذكريات .

أصبحنا أقوى و لكننا تمزقنا .

تجاوزنا الصعوبات .

لكنها أخذت من روحنا .

كتبنا الرسائل ولم نرسلها بعد .

أغلقنا الهواتف قررنا التغيير .

جاءت الحياة بالعقبات .

فلم نتغير بعد .

ادخرنا الحديث و التزمنا بالصمت .

نضجنا و من الأفضل .

ألاّ ننضج بعد ..

***

لَسْتُ أنا الشخص الذي تراه بعينك يقف أمامك يبدو وسيماً أنيقاً مُنَظَّمًا مُرَتَّبًا بعض الشئ.

بل أنا الشخص الذي بداخلي ، الذي لا تراه ولا تشعر به ولا تعرف عنه شيئاً سوى أنه واقف أمامك كالجدار لا يهزه شيء .

و في حقيقة الأمر بأن وراء هذا الجدار تأتي الانكسارات و التعثرات بأن وراء هذا الشخص تأتي خيبات الأمل و الحسرة و الآلام .

لَسْتُ أنا من ترك الأمور و رحل في منتصف الطريق و لكن لكل طريق مطاف .

لَسْتُ أنا الكاذب بل أنا المسئول عن القرارات و عن الأخطاء صريحاً لا أحب إخفاء الحقائق .

لَسْتُ أنا العاقل بل أنا المجنون اللاواعي بالأمور أتركها كما تكون .

لَستُ أنا المتسبب بل أنا المسبب الذي يعيش في الأسباب .

لَسْتُ أنا المتحدث في هذه اللحظة ، بل أنا المتحدث دائماً ولكن لم ينصت لي أحد .

لَسْتُ أنا الغائب بل أنا الحاضر الغائب .

لَسْتُ أنا العاشق المجنون بل أنا الذي عَشِقَ ولم يكون .

لَسْتُ أنا المتحرر بل أنا الأسير الحر .

لَسْتُ أنا و لكن من أنا أكون .

***

إذا غابت الشمس سوف تعود بعد الظلام

و من نور الصباح !! نجدد الأمنيات ...

و ماذا الآن

و ماذا بعد الآن

سوف تمُر بيننا الأيام

و للحديث بقية...